معناة الكلام

مجمـــوعة قصصـــية

زكـــريا الشافعى

المحتـويات

الريجيم
اقول لك
العصبية والمية المعدنية
بيقولوا فالنتين
حكاية كل يوم
دقيقة حداد
سمك وملح
كنت فين ؟
عشرة عمر
عمى جمال المصرى
قالولو
قصة بلا نهاية
جحا
الرجل الذى فقد عقله
كلام فى الحب
كنا نقول(الشيخ)
لقاء
معناة الكلام
ناس وتاس
هداية
الذاكرة ممتلئة

اهداء

الى اصل الحكاية اولا ..

الى من علمنى الحكاية ..

الى امى

ولاولئك الذين صنعوا الفرق فى حياتنا اليهم جميعا ..

زكـــــريا

" الريجيـــم "

السكون والصمت المطبق يلف المكان.... وظلام لايمكنك ان تتبين فية كف يدك... قدم تتحرك بحذر فى الصالة الفسيحة . تقدم خطوة وتؤخر اخرى . صوت خافت تناهى من بعيد لتعود الاقدام المتسللة الى الخلف سريعا تستتر بحائط !!! .....

يااالهى.. !! الصوت... كان صوت الساعة القديمة فوق البايو عند باب الشرفة ،كان دقاتها التى لايمكن ان تسمعها بالنهار واضح جدا فى هذا السكون المريب !!!وكأنة دوى فى سمع المتسلل .

امام باب الشرفة الذى حجبته غلالة حريرية من ستائر فاخرة ، كان شعاع ضوء يتسلل من مصابيح الشارع الساهرة يضىء الى حد ما امام هذا الجزء من الصالة . عبرت الاقدام فى سرعة هذا الجزء الذى خلا من سجادة او فرش على الارضية الرخامية الرمادية اللون.

وامام ثلاجة كبيرة توقف صاحب الاقدام المتسللة ...وانتظر برهة واصاخ السمع طويلا ....وهو يضع يده على مقبض باب الثلاجة قبل ان يفتحها فى هدوء ليتسلل ضوئها الخافت يضىء الداخل بوضوح لكنه لايتعدى ذلك لان جسدا ضخما وكرشا كبيرا كان يعوق ذلك .

وفى وقت قياسى كانت قطعة كبيرة من صدر دجاجة وشريحتين جبن رومى وقطعتين لانشون وشريحة مكتنزة محشوة من نوع فاخر من الهريسة وطبق رز بلبن قد استقرت فى جوف هذا الكرش الكبير واتبعها بجرعة معتبرة من زجاجة بيبسى..... وتكريعة مكتومة كادت تقرقع فى الصالة الصامتة .

كشف الضوء الاخير من باب الثلاجة قبل غلقها ابتسامة رضا التمعت على صفحة هذا الوجه المكتنز . ثم نظرات حذرة ....فخطوات مرحة.. تواثبت الى ان وصلت الى اخر باب فى نهاية الردهة الكبيرة .

فى خفة يحسد عليها عاد الاستاذ عبد التواب الى سريرة .....وحانت منه التفاتة سريعة نحو زوجتة الغارقة فى سبات عميق. تبسم الرجل فى سره قبل ان يستلقى فى هدوء لينام بعدها بدقائق ! تصاحبة سيمفونية اعتاد الرجل ان يعزفها – تقلقلت زوجتة عدة مرات قبل ان تستيقظ وتزغده بيدها وبصوت آمر

- ياعبد التواب ...وبعدين بقة .. اعدل راسك !!!

- هه .. اه .. طيب

مر احد موظفى الاستاذ عبد التواب به فى صبيحة اليوم التالى وهو جالس على مكتبة وامامة كوب الشاى وقطعتين صغيرتين من خبز جاف .

اية يااستاذ عبد التواب .. اية اخبار الريجيم ا... انا شايف بسم الله ماشاء الله تحسن كبير جسم سيادتك بقى كده سمباتيك وابتسم فى مكر
- هههههه انت شايف كده ياعلى هههه.... والله المدام والدكتورة بنتى ايمان... - مانت عارفها
- ... هما اللى واخدين بالهم منى ،ومنظمين لى كل حاجة

– ربنا يخليهم لسعادتك .... هوه ده الكلام ياباشا
-- طبعا ... الانسان لازم يكون عنده عزيمة ... واصرار اومال اية !!! انت شايف انا بافطر اية !!!
-- طبعا سعادتك .. كلنا بنتعلم منك
- ده اية اللى فى ايدك دا ياعلى ؟
- ده سعادتك حلاوة نجاح ابنى محمود فى الاعدادية
- بس انت عارف ياعلى ان الحلويات ممنوعة عليا
- ياباشا كل سنة وحضرتك طيب ... خليه انهارده استثناء .
- هههههه وماله .... ميضرش وخاصة اذا كانت من "شهد الملكة " ....الف الف مبروك ياعلى
فرك على يدية الاثنين وقال بصوت هامس " الله يبارك فى سعادتك ياريس !!!"
وفى خفة وسرعة وضع امامه ملفا كان يخفيه بين طيات ملابسه والتقط قلما من على المكتب ثم انحنى على اذنه هامسا ..

- ده سعاتك اوراق الراجل بتاع ال.....
- ايوه ايوه طبعا .

زكـــــريا الشافعى
ابريل ٢٠١٨

اقـــــول لك

الشيخ الطروفى !! مقام الشيخ يقع فى الحى الذى يسكن فيه مبنى صغير جزء من منزل الجالس على قديم اقتطع المقام نصيب . كان يكره هذا الدرويش بعمامته الخضراء عتبات مقام الشيخ الطروفى بملابسه التى لالايمكنك ان تحدد لها لونا ولاملامح وبمسبحته الطويلة لحية طويلة تتدلى الى منتصف صدرة . ويكره هولاء الذين يتمسحون بعتبات الشيخ من النسوة اللاتى جئن يطلبن البركة يملئن صندوق النذور بالورقات الكبيرة فئة العشرة جنيهات ثم ييكين ويطفن بالمقام وتطلب كل واحدة حاجاتها . كان يكرههن كراهه التحريم ،ويود يوما ان يهدم المفام فوق رؤوسهن ، وفوق راس هذا الدرويش ، بل وفوق عظام صاحب المقام الذى يعلم فى قرارة نفسة انه لايملك ان يدفع عن نفسة شيئا . كان يسخر من الجميع علانية وامام الكل الاسم طروفى

- "طروفى .. هههه حتى الاسم غلط ... فيه شيخ اسمة طروفى ده اسم بلطجى .. سوابق .. يعنى كده "

نهرته امه –" يابنى دول ناس صالحين ملكش دعوة بيهم" .

" ياست الكل تلاقية كان واحد من الدراويش اياهم اللى عايشين على قفا الناس لاشغل ولامشغله" .

الغريب ان اهل الحى ما كانوا يعرفون عن تاريخ الشيخ الا النذر القليل ... قالوا جاء من المغرب ، وقال اخرون ان له نسبا شريفا ،وقال اخرون انه كان رجلا صالحا له كرامات ، وقال اخرون انه رجل مجهول مات .. ولم يتعرفوا على اصله وفصلة فدفنوة فى مكانه.. ولما وجدوا مكانه قد اخضر زرعا... بنوا له مقاما وسموه الطروفى ..لانه كان فى طرف الحى من الناحية القبلية ! وايما كان الموضوع فلااحد يعرف على وجه اليقين من الرجل – يستغرق فى الضحك ويقول " تلاقية كان قاطع طريق ولاواحد هربان من الحكومة "... اشتعلت ثورة فى البلد كلها ... عزلوا الرجل الكبير.... سقطت الشرطة.... لم يعد هناك امن !! وقف يهتف بأعلى صوته فى مسيرة غاضبة . دوت فرقعات رهيبة ... ضرب نار .! سقط الناس حولة .... تطايرت الرصاصات فوق راسة . صرخ رجل فى الوجوه الملثمة هاتوا لى الواد ده ...

جرى باقصى سرعة .... طاردوه .... وجد باب المقام مفتوحا مواربا... لم يكن يريد ان يصل حتى باب البيت ....يخشى ان يطاردوه حتى شقته فيؤذوا امة واخوتة البنات .. لم يجد غير المقام ... اندفع داخلا بحذائه ... ظهر الدرويش على الباب الخارجى واغلقة وقف بعصاة ومسبحتة الطويلة حول عنقة وملابسة الرثة .....

اتاه احد المطاردين .

- فيه واد دخل هنا ؟! .

-امشى ياولا من هنا !!

كان الرجل يلوح بسكين طويلة غريبة الشكل يخوف بها من يقف امامه .. الا هذا

الدرويش الذى وقف باصرار وتحد غريب ممسكا بقائم الباب بيده .
سال الرجل مرة اخرى وانفاسة تتهدج : باقولك يا..... فية واد دخل هنا !!!؟
رد الدرويش بصوت خشن قاطع وبنظره تقدح شررا . وقد احكم قبضتة على العصا الغليظة فى يده .
- امش ياولا من هنا !
تسمر الرجل فى مكانه لربما من دهشتة من جرأه الدرويش . جاء بعض زملائة الملثمين وقد كشف احدهم عن وجه قبيح به خط من اثر جرح قديم لم تفلح لحيتة فى اخفائها !
- فيه اية يا سوكه !؟ ساله احدهم وقد راح بعيون ميته يتطلع خلف كتلة الملابس البالية والوجه الصخرى الواقف عند الباب ..
والا ممكن يكون دخل هنا... والباشا قال عايز الواد ده!!!
التفت الرجل الاخر الى الدرويش وحدجة بنظرة طويلة من اعلى لاسفل ومن اسفل الى اعلى واستوفقة اصبع قدم الدرويش العارية فى حذاء باللى فضج بالضحك .. ضحكه كالفحيح كانها تخرج من كهف
يالا بينا ياجدعان ماهو طالما مانعنا ندخل يبقى اكيد مش حيدخل اى حد !
- تصدق مخك نضيف وبتفكر ياشلاطة !
صرخ فيهم الدرويش مهددا : " يالا ياولا منك له من هنا !"
" يالا بينا ياجدعان ده مجنون ... .بدل مابيطلع جنانه علينا ... احنا مش ناقصينه ..احنا نرجع للباشا .. احنا عملنا اللى علينا " .
نظروا حولهم ثم تحركوا سريعا من امام الرجل .
تحركوا سريعا من امام المخبول الذى قد ينهال عليهم بعصاه فى اى لحظة فان لهؤلاء المجانين احوال ...
فى ثوان كانوا قد اختفوا ..
نظر الدرويش حوله يمينا ويسارا .ثم قال بصوت اشبه بالهمس .
- " اظهر وبان عليك الامان " .
وثب الشاب المذعور من خلف المقام وتقدم بخطوات حذرة واتجه الى الباب . وصوت رخيم آسر يتبعة .
-"روح يامصطفى شوف مذاكرتك يامصطفى . وسيب الملك للمالك ... واللى فى علمة لازم يكون ! -
.....
استدار ليشكر الرجل الى انقذ حياته وربما ليساله كيف له ان يعرف اسمة ..... لكنه لم يجده !

الاسكندرية مارس
٢٠١٩

وانا انظر الى عروقه النافرة وهو يحكى بكل عصبية ويلوح بكلتا يدية .كان الجميع يقولون ان سمير هذا عصبى ! ..
قال احدهم ساخرا انه .. "فى حالة استنفار دائم " وعلق اخر ضاحكا هو" بركان نشط" .
وكثرت التعليقات مابين ضاحك ومبتسم ، ومتعاطف معه ، وحانق عليه. ثم سكت الجميع حينما اقبل من بعيد بوجه عبوس جاد .
حين جلس معى نتكلم قال لى " انت تعرف اننى عصبى شوية !

وكانة ينتظرموافقتى على ماقال ثم حين لم ير اويسمع منى اجابه قال : ماشى .. قل عصبى ... نعم انا عصبى!

.انا لااحب ان يستفزنى احد انا كده ! ... ولعلمك.... كل هؤلاء الذين تشاجرت معهم هم من بدأوا..... ولعلمك ايضا ان اى احد منكم كان سيفعل مع هؤلاء مافعلته انا !!
هل تذكر هذا الحقير... السفية الذى لم يرد على حين سألته لم تاخر ؟ لقد استهان بى.
نعم لم يرد. لانه اراد ان يحتقرنى وان يقلل من شأنى امام الناس ....
_لكن ياستاذ !!! .... دا انت فتحت راسة – خمس غرز يارجل ؟!!
_والله ياحبيبى كان يستاهل ١٥ دا ابن..... . فاسرعت بوضع يدى على فمة فالناس حولنا. وكنت اعرف يقينا مانوع هذا السباب ..!
- المهم قل لى ماذا حدث يوم الجمعة !
- الجمعة ؟ ... كان اجازة ياخى
نعم اعلم انه اجازة وقد بلغنى الخبر من ناس واريد ان اعرفة منك
_اه .... نعم!! . وكأن شخصا ما قد قطع التيار الكهربى عن اجهزتة التى تعمل بكامل طاقتها! فقد ما ل على وحدجنى بنظرة هادئة
–عرفت ازاى ؟
- دعك من كيف عرفت ؟ فية حد ياراجل يتعارك فى المسجد ؟!!!

_ ماهو انت لو تعرف اللى حصل !!!

لم اتفوه بكلمة ولكنة فهم من سكوتى اكثر مما كان سيفهم من كثير من كلمات العتاب والانكار و و و و ..... وفهم ايضا انه علية ان يحكى وعلية ان يوضح ويبين ويذكر الاسباب .

ساحكى لك من البداية .
- انا ياسيدى متعود يوم الجمعة الصبح استحمى واروح اصلى الجمعة . سُنة يااستاذ سُنة !
ثم وكأن التيارقد عاد الى عروقة فانتفخت فى وجههة ورقبتة . وبآلية وتلقائية ادخل يدية فى البلوفر الصوفى الذى اتسع فبدا كانة اكبر من مقاسة او انه فقد وزن رقبتة ليلتقط علبة السجائر من القميص اسفله

وفى لمح البصر اشعل السيجارة واكمل " بس تقول اية بقة فى الحكومة ال..... المية كانت قاطعة

. لا واية ؟ !!! كنت فى الحمام يااخى !!!

وتخيل المدام عملت اية لما قلتلها اتصرفى .... انت متخيل !!! اخدت من جيبى ٢٠ جنية ... وجابت مية معدنية.... واخد بالك يااستاذ مية معدنيه!!! عشرين جنية !!.

مانت عارف انهما مش معدنية اصلا كمان .... وراح يكرر عشرين جنية !!! استغفر الله العظيم – الولية المفترية اشترت مية بعشرين جنية وعشان اية .....!!!؟

المهم ... - واكمل وقد سحب نفسا عميق من السيجارة القابض عليها باصبعية واشعل طرفها نارا .

- رحت الجامع.. لقيت المكان اللى متعود اقعد فية واسند ضهرى وابقى كده باصص على الخطيب على المنبر ، لقيت واحد قاعد فية !! ومعاة عيالة كمان ... !! المهم جلست .. وبمجرد ان جلست جاء رجل ،التصق بجوارى .... فتحركت قليلا فانا لااطيق ان يلمسنى احد. ... يااخى انا باركب الميكروباس باخد كرسيين عشان ميبقاش كتفى فى كتف اللى جنبى . هة ... انا كده ..... طبعى كدة !
سحب نفسا عميقا اخر .... وراح يكمل كلامة وانا اتابع الدخان يخرج من فمة وقد تصورت حينها اننى ارى دخان شيئا ما يشتعل بداخلة !!

وراح يكمل حديثة وقد التمعت عيناه ببريق عجيب !
- وبمجرد ان تحركت جاء شخص اخر من خلفى فاشار على بان اتحرك قليلا ،لانة سيصلى ركعتين تحية المسجد....
تكورت يااخى فى مكانى ورحت اردد فى سرى استغفر الله العظيم . وكاننى تذكرت الخطيب على المنبر لم يكن الشيخ الذى اعتدت سماعة فى كل جمعة اصلى فى هذا المسجد لقد كان شخصا اخر .لااعرف يااخى كانه كان يقصدنى فى خطبتة كنت كلما رفعت

بصرى لانظر الية اجده ينظر الى ويصيح فى مكبرات الصوت التى ملأت هذا المسجد الصغير " يامن تأتون الى الصلاة متاخريييييين ... ياااااايها العاصى ....يامن تصلى فى بيتك ... ملأ الله بيتك نااار .يامقصرين فى حق الله.... سينكد الله عليكم عيشتكم ... هية المية غليت لية ...هه!؟ والغاز.... والأكل ؟

.....

.لادرى ياخى الذى خطر فى بالى ان اجرى خارجا .....هناك مسجد اخر فى نهاية الشارع .

وبعد ساعة وربع الساعة بالتمام والكمال ،انهى الرجل خطبتة ونزل. واصطف الناس للصلاة ، جذبنى الرجل الواقف الى جوارى لكى احاذية ثم الصق قدمة بقدمى. قدم خشنة كانها من خشب جاء اصبعة الصغير حا د كمخلب قط فوق قدمى. فابتعدت فوكزنى فى فخذى كى احاذية . فلم افعل .. . فالصق قدمة بقدمى . – قدم كانها رجل فيل !! انت متخيل ياخى.

نعم متخيل !!! وضحكت رغما عنى حينما اشار بيدة مصورا لى حجم قدم الفيل اقصد الرجل

تخيل بقة الموقف... !!

نعم تخيلت الموقف . وكأنة يدع لى فرصة التخيل.. راح يمتص من سيجارتة نفسا عميقا ملء به صدرة !

ولم اكن فى حاجة لاعرف بقية القصة فقد حكاها لى زميل .

زكريا

الاسكندرية فى ٢٥ فبراير ٢٠١٧

(بيقولوا فالنتين!!!!)

- همست فى اذنة بدلال وتلك الابتسامة المتالقة على شفتيها وفى عينيها وفى وجنتيها تكاد تضىء هذا الوجه الذى غضنت صفحتة الايام والسنين .
_قال يابو مصطفى بيقولوا انهاردة عيد الحب "الفالانتين ".

كان مايزال يلتقط انفاسة بعد ان اعتلى درجات سلم الادوار السبعة . ويبدو انه لم يسمع شيئا مما قالتة له زوجتة المصون ام مصطفى ، فقد كان لايزال متجها ببصره ناحية الباب اليى اغلقه بقدمة فلم تكن اى من يديه تخلو من شىء يحمله وهو يتمتم غاضبا
- عالم معفنة !!!
- لم تفارق الابتسامة وجه زوجتة وقد بدا ان طرف الحديث الاول قد قطع
فية اية بس ؟! دى حتى ايام مفترجة !!!
- امسكى امسكى .وناولها بعض حمولتة الثقيلة .
- اسرعت بحمل العديد من الاكياس التى تعلقت بيدية الاثنين وهى تجول ببصرها بينة وبين ماتحملة بيدها من اكياس ثقيلة . اسرع الرجل فخلع حذائة ثم القى بنفسة على اول كرسى قابلة فى الصالة .
تركتة يلتقط انفاسة وراحت فى صبر تنتظر كلامة .
تعلقت عيناها بشفتية
""جبت لك ...." تعالى شوفى كده !! ثم كانما تذكر ماكان يغضبة .
- الناس مبقاش عندها زمة ولاضمير .
ربنا يخليك لينا يابو مصطفى هوه ال.....
- الراجل الحرامى بتاع المكتبة اللى تحت ...
-خلاص يابو مصطفى صل على النبى .
- قال اية ؟لازم تاخدها ... ! هية البيعة كده
-ومالة ياخويا هىء هى ءهى هىء
- وراح الرجل يفض الاكياس ويخرج مافيها
- شوفى ياستى
" ده كيلو .... وده باكو .. ودى بقة حتة ...كان حايخمنى فيها بس اية !! انا قولتله ...
- اه
الكيس الكبير دة جبت تلات كيلو... وعشر ... للاولاد ... وعندك كمان بقة ..... لقيت علية عرض قمت جايبة اهووبرضة ينفع
- اه .
- وجبت كمان ...
- اه
شفتى ال... اية رايك فية ؟!

-اه
- هوه اية اللى اه اه !!
_ قالت بلا اهتمام .....طيب .
- الناس المعفنة اللى فى الرابع سايبين الزبالة على السلم واللى فى الخامس سايبين القطة برة الشقة حاجة تقرف !! و هوه الراجل ده مش ناوى يصلح الكهرباء بقة
-تذكرت انها تركت الطعام على النار هبت مسرعة الى المطبخ ظلت لوقت طويل حتى قام الرجل من كرسية واتجة مباشرة الى غرفة نومة والقى بجسدة المنهك وراسة الملىء بالصراعات على السرير وراح فى نوم عميق
عادت زوجتة وقد اكتسى وجهها بحزن عميق احترق بعض الطعام يمكنة الان ان يشتم الرائحة . ليكن ! ماباليد حيلة – راحت تضع الاطباق على السفرة وكانها تلقى بها على صفحة الطاولة القديمة . ثم حانت منها التفاتة ناحية غرفة النوم وفى صوت حاد طويل .- الغدا!
فى ذلك المساء تشاجرا واقسمت انها ستذهب غدا فى الصباح الى ابيها فى البلد ... فهى لم تعد تحتمل ولم ولم .....
جلس الرجل فى البلكونة ....واشعل اخر سجائرة ...وراح يدخنها بشراهة .
حين دقت الساعة الثانية صباحا .. انزل قدميه المددتين المتعبتين من على الكرسى الصغير امامه وحمل جسده المنهك وتلمس الطريق الى فراش يرتاح فيه ماتبقى من سويعات اليوم فامامة غدا يوم عمل طويل .لقد اصبح العمل لايطاق .
فى الصباح خرج فى صمت الى عملة .عمل شاق يستنزف طاقتة ...
وحين قامت من نومها راحت ترتب الاشياء التى جاء بها بالامس وضعت الزيت فى دولاب المطبخ السفلى – الارز والدفيق الفاصوليا فى الاعلى .اربع علب صلصة طماطم الطماطم غاليه اليومين دول . كيس التوابل رائحتة قوية ملئت البرطمانات الفارغة فلفل وكمون وحبهان .اخذت الصابون ومسحوق الغسالة الاتوماتيك التى اشترتها منذ شهر حين قبضت دورها فى جمعية ام بطة جارتهم .وضعت الكل فى درج المنظفات بعيدا تحت الحوض .فى كيس اخر وجدت هذه العلبة الزرقا ء ....علبة الشكولاتة ..... برق امام عينيها شريط من ذكريات طفلة.... ثم صبية .. فشابة تمسك بلعبة شيكولاتة وتبتسم الى شاب قصير الشعر بعينين سوداوين ونظرة جادة . _انها الشيكولاته التى طالما احبتها ..
لمحت الورقة الصغيرة اسفل العلبة عليها الثمن ١٢٠ جنية دقت صدرها بيدها يامصيبتى !!! برضة كده ياسعيد ! لكنها لم تستطع ان تخفى ابتسامة طافت على وجهها
بعد عشر دقائق اتصلت به فى العمل .
نفسك تاكل اية انهاردة يابو مصطفى !! ؟
زكريا الشافعى
الاسكندرية فالنتين ٢٠١٨

قالوا لى لاتصلح هذه ان تكون قصة . ومع ذلك كتبتها ،ورحت اعيد كتابها ،واغير فى بعض سطورها وعباراتها. واعدل هذه الكلمة فى هذا السطر وذاك. وترددت فى ان انشرها. كترددى فى ان امحو سطورها . فكما قلت لكم ،قالوا لى انها لاتصلح ان تكون قصة .منصور هو بطل هذا الشى المسمى قصة لم يكد ينتهى من حلاقة ذقنة، ويطمئن الى نعومتها ،وانه اجاد واحسن فى هذه المهمة التى بدا بها صباحة، حتى تذكر ان ابنته الصغرى كانت قد عبثت بزجاجة الكولونيا فافرغتها فراح يستجدى بضع قطرات منها . كان الاولاد الصغار يتشاجرون فى الغرفة المجاورة .لديه خمسة .اولاده الخمسة اكبرهم شيماء فى اولى سنوات الجامعة كان اول ماايقظه فى هذا النهار هذا الحوار الغاضب بين البنت وامها

-"لا ميكفيش ..."

-" طب يعنى اية نجيبلك منين .... عيشى عيشة اهلك !!"

-"انا مليش دعوه..... زملاتى ب... ياماما الله يخليكى ... طب قولى لبابا !!!"

-" هس وطى صوتك ابوكى نايم ... وبعدين ..."

- لا لم يستطع ان ينام بعدها حتى بعد ان وضع المخدة على راسة !!

الاولاد الصغار فى اجازة المدارس الولد والبنت التوأم – جابتهم ام محمد فى بطن واحدة اخر العنقود . صوت صياحهم يطغى على صوت البائع الذى يصيح "جميلة اوى ال....." لم يستطع ان يتبين ماهى ال....." وزوجتة فى المطبخ تصرخ فى الاولاد وتهددهم بان ابوهم سوف يشبعهم ضربا. انكسر شىء ما!!! لم يتبين حينها هل كان فى المطبخ ام عند الاولاد. لحظة صمت قصيرة .. انزلق الكوب من يد الام وهى تغسلة . دق جرس الباب.. رنة واحدة.. طويلة.. عنيدة. تبعتها طرقات منغمة. وصوت اجش "النور.... كهربااااا .." سمع زوجتة وهى تقول يافتاح ياعليم يارزاق ياكريم تركت الزوجة المطبخ واتجهت الية .كانت الفوطة على كتفة وهو يخرج من باب الحمام

" نور اية..؟! احنا مش لسة دافعين الاسبوع اللى فات!! " .

"سلامتك....وهى تداعب شعر صدرة الكثيف وتشير باصبعيها علامة النقود – " دى كانت المية "

" استغفر الله العظيم" قالها مرتين اوثلاث واخرج من جيب بنطالة المحفظة التى اكل عليها الزمان وشرب لم يعد يتذكر هل كان لونها الاصلى اسود ام بنى .

"انا مش قلت لك ياراجل هاتلك محفظة عليها القيمة افرض حد من زملاتك فى الشركة شافها "
"اطمئنى كلهم شافوها وعارفينها" –" اخرجها من جيبه بحذر... امسكها بحذر... ومع ذلك سقطت منها ورقة صغيرة .
انحنت الزوجة لتلتقطها لة -
" دى اية دى يابو محمد ؟!!"
" دة رقم تليفون .. رجل محترم" وهو يشير بيدة اشارة ذات معنى " وغنى اوى.. كان فى الشركة عندنا وشاف شغلى وكان عايز يسالنى عن كام حاجة وعطانى تليفونه "
-" طب ماتشوفة " وهى مازالت تتامل الورقة الصغيرة " يمكن ياخويا تطلع منه بمصلحة" _ "ومالة الرقم كتير كده لية"
- دة رقم تليفون محمول ..
- محمود ؟ محمود مين ؟
- محمول ياولية ! وضحك .
- "النور".. زعق بها الرجل على الباب
- ماكاد منصور يخرج الورقة ذات المائة جنية . وهو يقول فى اسى " تعرفى دى اخر ...." حتى اختطفتها من يدة وهى تدير وجهها ناحية الباب موجهة حديثها للرجل على الباب " طيب ..اصبر!!"
– ثم عادت لتلتقط مايستر شعرها فاخذت الفوطة من على كتفية.
تناهى الى سمعة صوت جدال زوجتة مع الرجل - "لية ؟ثلاثة واربعين جنية.. " دا احنا عمرنا ماخدنا كهرباء بالمبلغ .ده ....!!! "
عادت بما تبقى من الورقة ذات المئة لتدسها فى جيب قميصة وهى تخفى غضبها لتصنع ابتسامة على وجهها المشرق كصبيحة يوم مشرق لم تفلح السنين الصعاب ومكابدة الحياة ان تخفى معالم هذا الجمال .كانت اجمل فتاة فى الحى ،كانت حلم شباب الناحية .اختارها منصور واختارتة . فاز بها لتكون زوجتة وام اولاده الخمسة وشريكة حياة مايقرب من عشرين عاما قالت وهى تداعب هذا الذقن الحليق "على فكرة عايزين بكرة فلوس عشان ....." ومحمد كمان كان حيكلمك على ... " بس انا قولت له ..." ..... طبعأ هى اكبر وفى كلية وكمان..... "
"وكنت انا عايزة اقولك على ..... بس قدام شوية .. ولا اية !؟"
طيب.. طيب !! ربنا يسهل !
-اختطف علبة سجائرة تحسسها ..اتنين فقط ..سيجارتين "!! هيييية !"

دسها فى جيبة وعند الباب تعلق به التوأمان .
"تعرف يابابا ..انا عوزه .. اللى هيا زرقا كده ومكتوب عليها فوستوس "
"لايابابا بلاش الزرقا ..التانية الصفرا طعمها احلى "
- خلاص.... طيب ...طيب حاجيب واحدة زرقا... وواحدة صفرا... قولتولى اسمها اية؟!
"سوستوك؟!
ضج الصغاربالضحك وعادت الام للمطبخ .
حين وصل الى المقهى لم يكن احد من زملائة قد اتى بعد فراح يدخن احدى السيجارتين وراح فى تفكير عميق ومع كل نفثة دخان كان كانما يجيب عن احد الاسئلة الكثيرة التى تؤرقة لكن سؤالا واحدا منذ امس يلح علية .
انه هذا الرقم – لم يخبر زوجتة بكل شىء .هذا الرجل لقد عرض علية ان يعمل لدية بنفس مهنتة باضعاف مايتقاضاة هنا فى مصنع " اولاد الرايق " انه يعمل فية منذ خمسة وعشرين عاما تزوج وهو شاب يعمل فية تحت يد الاسطى خليل يعلمة اصول الصنعة .الاسطى خليل الرايق هو نفسة الحاج خليل صاحب المصنع شهد هذا المكان كل ايامة وذكرياته . هذه الماكينات العتيقة جزء من حياتة - فى هذا المكان وهو منبطح اسفل احدى هذه الماكينات العملاقة ابلغوه انه رزق بمحمد ومن يومها صار لقبة ابو محمد ... الاسطى ابو محمد - يومها كافأة الحاج بمائة جنية ! واجازة بقية النهار قضى خمسة و عشرين عاما من عمرة فى هذا المكان جاء ناس ورحلوا – فى فترة الازمة رحل الكثير منهم الا هو فقد بقى مع عدد بسيط من العمال - لم يرحل .
بعضهم ذهب الى المدينة الصناعية – الاسطى زغلول سافر بمهنتة هذه الى الخليج رآه فى اخر اجازة قال انه اشترى بيتا وزوج ابنة الاكبر – " هيييييه ارزاق "
- "القهوة المظبوط ياسطى" .
انتبة الى الصينية والقهوة التى وضعت امامة على الطاولة الصغيرة – امسك بكوب الماء وشربة دفعة واحدة كانه يطفى به هذه الافكار المتقدة داخلة .
كم بقى من العمر !! – الاولاد كبروا ومطالبهم زادت .. طاف ببالة هذا الحزن الدفين الذى لمحة فى عينى زوجتة بعد ان عادا من حفل زواج احد ابناء زملائة القدامى .. لم تقل شيئا ولكن الصمت ابلغ من الكلام احيانا .
انتبة الى ان السيجارة التى فى يدية قد احترقت حتى اخرها " هيييييييية " اشعل الثانية من الاولى وراح يشرب قهوتة فى صوت مسموع وعاد مرة ثانية يفكر .
حين انتهى من قهوتة هب واقفا واشار الى القهوجى الذى لم يخف اندهاشة من الرحيل سريعا هكذا

"مابدرى يااسطى !! فية حاجة ولا اية ؟"
" لا لوحد سأل عليا قوله رايح مشوار " !!
نعم لقد راح فى مشوار ..... مشوار استغرق باقى عمره !!!
كانت ابنتة شيماء بين زميلاتها فى الجامعة فى العام الثانى فى ثوبها الجديد تريهم الموبايل الذى اشتراه لها ابوها. ومحمد فى ملعب نادى الشباب و بعد ان سجل هدفا وطار فرحا فى انحاء الملعب توقف ليشير الى حذائة الجديد من الماركة الشهيرة .
تشاجر التوأمان وهما يلعبان الاتارى "انا الفريق الاصفر – لا انا الفريق الاصفر "
حين خرج الاسطى ابومحمد من دارة هذا الصباح كانت زوجتة تبتسم فى وجهه وتداعب هذا الذقن الحليق "عايزين ..." واشارت بيدها " .

مثل الالة التى تعمل كالروبوت فى المصنع الذى يعمل بة والتى يكتفى هو بمشاهدتها تؤدى كل العمل اخرج محفظتة من جيبة .وضع فى يدها عدة ورقات كبيرة .
"انا مش قلت لك ياراجل هاتلك محفظة عليها القيمة ...افرض حد من زملاتك فى الشركة شافها "

لم يبتسم كعادتة .....

اعاد المحفظة الى جيبه ... نظر اليها فى صمت ولم يقل شيئا.

الاسكندرية فى فبراير ٢٠١٦

" دقيقة حداد"

حين ارتفع صوت مدير الكلية بكلمة "دقيقة حداد" هب كل الجالسين من مقاعدهم وقوفا . وفى تأثر بالغ وصمت بليغ ،ساد سكون جليل تتخلله همهمات ...يمكنك ان تتبين بضع كلمات لأب ذو لحية كثيفة يتكىء على عصا وزوجتة تمسك به ومسبحتة ترتعش فى يدية .."اهدنا.... سراط ... امين " .وام فى العقد الخامس تقبض بيدها على الصليب الذهبى المدلى على صدرها ". المجد ... الاعالى ..." آآآآآ آمين .

وعلى اطراف القاعة فى الخلف تماما كان يمكنة من مكانة ان يرى سعيد معتوق فى اول صف . كان من المفروض ان يمر عليه . لقد اعتادا الحضور سويا الى الكليه . سيكلمه !! لماذا لم يمر علية اليوم ليحضرا الكلية سويا !!!! لعل الواقفة بجوارة خطيبتة اها الهذا السبب ... تبسم !

- "ربنا ييسر لك ياسعيد ويجمعكم على خير " وهناك " محمد عبد الراضى" بشعرة المميز بهذه الهالة من الشعر المنفوش فوق راسة . هة !! ماذا كان يسميها .... اه " تذكرت ...عش الغراب !"
- وهذا "جلال" هناك عند الجانب الاخر بجوار النوافذ بيده منديل ابيض يجفف عرقة المتساقط على خدية !!! و "مينا" صديقة فى منتخب فريق الكرة عند الباب عاقدا يدية وهو ينظر الى الارض فى صمت .وسط هذا الجمع كان يمكنه ايضا ان يرى " سلامة الهوارى " بنظارتة السميكة،العبقرى صاحب الاختراع الذى جعل اسم كليتهم يتردد فى الأوساط العلمية . رزق "المجنون " !! الغريب انه هو من اطلق على نفسة هذا اللقب !!! استدعت ذاكرتة ذكرى ذلك الرهان الغريب . تراهن مع زميل اخر انه سيدخل الكلية بعود قصب كامل ! وقد حدث ...!!و يومها طرده الدكتور من القاعة وسط هستيريا ضاحكة من زملائ وابتسامة انتصار على وجهه وهو خارج يحمل عود قصب ... يومها كانت سندوتشات الغذاء على حساب صاحبه هذا !!!

وحبيب الكل صاحب النكتة المرحة ورسام الكاريكاتير فى مجلة القسم "ابراهيم فضل" .كان كلما نظر الى وجهه تخيل احد هذه الشخصيات الكارتونية التى يراها فى رسوماته .لقد حققوا معه ذات مرة فى احد رسوماتة التى صور فيها احد اساتذه الجامعة !! كادوا يفصلوه لولا تدخل قريب له صاحب مركز مرموق ....

اين "محمدى رضوان "...الثائر دوما !؟ لعلة فى مكان ما هنا اوهناك ..

بعض الزملاء لم يحضر بعد . اين "مصطفى النشرتى" و" صلاح الديب " و "مجدى عبد الملاك" .... ربما سياتون فى سيارة مصطفى السيات الصغيرة . الثلاثة يسكنون فى شارع واحد..
وفى ركن القاعة عند العامود الذى يعلوه ملصق باسم الشهداء شهداء كلية .... كانت هى ايضا هناك . الفتاة ذات الايشارب والكوفية وقد تسللت خصلة من الشعر الاسود الفاحم على جبين وضىء كالبدر. كانت هى حلمة وحديثة الذى لايحدث به احدا الا نفسه ....!!

دق العميد باصبعة على الميكرفون الصغير المثبت على النصب امامة . وخلفة لوحة تذكارية لم يتم الكشف عنها بعد ومازالت مغطاة بقماشة حريرية .

طقطق الميكرفون وانساب منه الصوت هادئا ....رخيما.... بطيئا... حزينا .. " اليوم ... اجتمعنا لتأبين ابنائنا .. شهدائنا ... الخمسة ... الذين ...الحادث الاليم ... رحلة نويبع ... " ." نزل الستار عن اللوحة التذكارية ..."
تحلق الجميع حولها .. . تحرك بخفة بين الجمع ،مر بزميلة فى منتخب فريق الكرة ... اشار الية بيدة لم يرد ؟!
وقف امام "رزق المجنون" الذى راح ينظر فى هاتفة المحمول وهو يقلب فى الصور !! فلم ينتبة الية !؟

حين وصل الى اللوحة التذكارية وجد صديق عمرة " سعيد معتوق" وقد تعلقت عيناة الغارقة فى الدموع باللوحة ...
راح يقرأ الاسماء ...! انها اسماء يعرفها جيدا !! نعم يعرفها جيدا...
وحين وصل ببصرة الى الاسم الاخير ساد صمت رهيب .. واختفى كل الناس من حولة... فقد كان الاسم اسمه هو !

زكريا الشافعى
الاسكندرية فى ١٠مارس ٢٠١٧

سمك وملح ..!

" تحياتى لزميلى وصديقى الفاضل الاستاذ " م . ع " الذى احكى هذه القصة عنة بتصرف
اسالوا كل هؤلاء الذين جربوا الانتقال من شقة الى اخرى –العزال او العفش "
انه يااخى قطعة من العذاب تماما مثل السفر. ناهيك عن ترك مكان ارتبط بجزء من ذكرياتك . شقتك - التى اصبحت تسميها الان قديمة- تغادرها الى اخرى .
حين انتقلنا الى شقتنا الجديدة مر على شهر اواكثر وانا اصلح هذا ، واضبط هذا، واكمل هذا ، واعيد تنسيق هذا مع زوجتى واولادى حتى اكتمل فرش الشقة واصبحنا الى حد ما نألفها
اراد اولادى ان يشتروا حيوانا اليفا وكعادتهم لم يتفقوا
نجيب كلب ...لا لا كلب اية وزفت اية !! ..دة بيمنع الملايكة
احنا نجيب قطة ...
- ماهى برضة بتمنع الملايكة زيها زى الكلب
- ... لا الملايكة بتحب القطط ...
- هههه وانت ايش عرفك ان الملايكة بتحب القطط
- انا مبحبش القطط خلاص ....انا حاجيب سلحفة ...
- يع !!! بطيييئة ومافيهاش اى فكرة -
- يعنى اية مافيهاش فكرة ... مش حِركة كده وبتعمل حركات زى القطط !!
- انا عندى فكرة احسن نجيب عصافير ...
-اة ودوشة بقة وكده ، صح ؟!!!
- ...دوشة !!! العصافير دوشة ؟
-يابابا يابابا ..... واندفع االاولاد نحوى وكنت مازلت اتناول طعام الغذاء رغم ان الساعة قاربت على التاسعة ليلا.
طبعا لست فى حاجة لان اقول ان جدالا اخر حول من يقول اولا ومن يقدم فكرتة اولا قد استمر فترة كافية ...كافية لان اكل سمكة كاملة – نعم كان غدائى الذى ادخرتة لى ام الولاد سمكا ...
- اشتروا سمك !
نظر الى الاولاد فى دهشة ! " سمك اية ؟"
اقصد اشتروا حوض سمك ...
ورحت وانا اتمتع بمصمصة السمك انظر الى هذه الدهشة التى بدت على وجوهم..... ثم ابتسامة الرضا والقبول بعد لحظات .

_مر يوم فقط اربعة وعشرين ساعة .... فقط اربع وعشرين ساعة وكنت فى طريقى لشراء حوض السمك _ هذا بالطبع_ بعد ان سمعت " يابابا امتى حتشترى السمك (يعنى حوض السمك) اكثر من قدرة اى اب على العد.!!
واشتريت حوض السمك ...
وفى صمت جليل وهدوء مهيب تحلق الاولاد حولى ونحن نشهد اللحظة الخالدة !. لحظة ملء الحوض بالماء !
وقد حرصت على الا اعرض نفسى للسؤال الذى كنت ساسمعة فى اليوم التالى – "جبت السمك يابابا ؟"
قلت فى نفسى وانا عائد من عملى مجهد اتلمس الطريق الى البيت وقد كدت ان اصل الى اول الشارع – سيسألوننى !
وحدث بالفعل و قبل ان اصل للبيت – رن المحمول فى جيبى
- يابابا جبت السمك
اجيب من فين سمك دلوقتى - خلينا بكره .....
- لا يابابا .... احنا عرفنا ان فية واحد بيبيع سمك فى اخر الشارع بتاعنا ....
كسرعة شخصيات الافلام الكارتون وجدتهم امامى على باب البيت قلت فى نفسى" الامر لله "
-تحسست جيبى ... اه ياابو الاشبال ياترى بكام السمك ده ؟
دهشت حين وجدت ان البائع امراة عجوز وابنتها الصغيرة هى من تساعدها فتاة لاتتجاوز الرابعة عشر – لكنتها توحى بانها ليست مصرية تعجبت !! فتاة من البوسنة فى مصر تبيع سمكا !! ولاتتقن العربية تتكلمها كانها تنحتها من صخر ! .
- الحمراء يابابا .... الصفراء ... واللى فيها خط ازرقة جميلة ناخدها برضة ... وهكذا حتى اشترينا اتناشر سمكة ..هة ثم ماذا .
-قالت الفتاة الصغيرة كلاما فهمت منه اننا نضع ملحا !!
_ " هى قالت ملعقة يا بابا" صاح الابن الاكبر
– بادرة الصغير وهويصيح _"لا قالت كيس !"
_ لا هى قالت_و راح يقلد كلام الفتاة قالت "ملعقة كلة "
– "لا كيس كلة..."
وضعنا الكيس كله !! فقد قدرنا ان ملعقة فى حوض كبير كهذا ليس لها تاثير يذكر
-فى الصباح وجدنا اثنى عشر سمكة تطفو على سطح الماء ! ميتة !!!!

حين رويت ماحدث لاحد اصدقائى ضحك حتى دمعت عيناه وراح يكرر "لية !!... كيس ملح !! ؟ حتعمل فسيخ ؟!!!
مر اسبوع اشترينا سمكا اخر راحت بضع سمكات تمرح فى الحوض بينما نحن لاتنقطع نظراتنا قلقا . لقد هجر الاولاد المحمول والتلفزيون وراحوا يتابعون الاسماك الجديدة فى قلق وترقب .
جلست فى ذلك اليوم اتناول غذائى وقد كان سمكا ! ... نعم تعرف زوجتى عشقى للسمك ،وهى بارعة فى طهية ..
وبعد ان مهدت وافتتحت بملعقتين رز بنى وملعقتين سلطة ... تناولت سمكة لكن لدهشتى كان ثمة شىء ناقص ...
-اية ده يا..... انتى محطيتيش ملح على السمك ؟!
اندفع الولدين من غرفة مجاورة كالصاروخ
- "لا اااااااا بلاش ملح على السمك يابابا ! "

زكريا الشافعى – سبتمبر ٢٠١٧

كنت فين !؟

قليلة هى تلك المرات التى رايته فيها لايبتسم . فهذة الابتسامة هى جزء من تقاطيع وجهة .جزء من تكوينة وركن اساسى فى شخصيته. انه واحد من هؤلاء الذين يملكون هذا الهدوء النفسى والسكينة الروحية . واحد من هؤلاء الذين هم فى تصالح مع انفسهم . وتلك نعمة لايعرفها الكثيرمن الناس . بسيط غير متكلف يدهشك حين يتكلم بتلك التلقائية الغضة والعفوية النضرة فكانما انت امام طفل لم تلوثة سخافات الكبار او ملاك نقى لم تدنسة ذنوب البشر

كنا نتحدث عن ذكرى ثورة ٢٥ يناير ماذا كنا نفعل حينها واين كنا وكان لكل منا ذكرى .كان ينظر الى كل منا ونحن نتبارى فى ذكرياتنا. حين التفت الية احدنا وقد كان يتابع حديثنا بابتسامة عينية

حين سالة : وانت يا... اين كنت؟

ضحك وسكت برهة ثم راح يعبر باحدى يديه ولسانه عن كلمة " ايس كريم " !

"كنت رايح اشترى ايس كريم "

ثم قال فى هدوء وبتلك التلقائية ، انا فى الحقيقة ما كنت اعرف ان هناك ثورة !

وضحك..... فضحكنا جميعا.....

- " كيف لم تعرف والدنيا كانت كلها تعرف؟!حتى من قبلها !!

.قال " انا لااشاهد التلفزيون، لانه ليس عندى تلفزيون ! وايضا لااسمع الراديو ولااقرأ الجرايد ! ....

حينها التفتنا اليه جميعا وتركنا ماايدينا لنسمعه...

نعم فعلا ليس عندى تلفزيون نعم اشتريتة قريبا ولكنى ايضا لااشاهده ! لم اكن اعرف ان هناك ثورة. لقد نزلت الى الشارع ; ومعى زوجتى وطفلتى الصغيرة كى اشترى تموين البيت من احد المحال االكبرى. ورحت اسير فى الطريق وانا اتعجب من خلو الشوارع من المارة. ثم العجب كل العجب من وجود عدد من الناس عند ناصية احد الشوارع واحدهم يحمل فى يدة سيفا اشار بطول زراعة الى حجم السيف ! وراح احدنا فى نوبة ضحك عال ولم نكن فى حاجة لنعرف ان هؤلاء كانوا اللجان الشعبية عند مداخل الشوارع !

كنت اقول فى نفسى "هل هى مشاجرة والناس يحملون السيوف ... يااه هى وصلت للدرجة دى ؟!

مررنا باناس راحوا ينظرون الينا فى عجب !

هل الوقت ليس مناسبا للتمشية! لقد كنا فى رائعة النهار !!!! ومالعجب ان رجلا يمشى مع جماعتة والجماعة يعنى المدام ! تبا لهؤلاء الرجعيين !هل من المفروض ان احبس زوجتى فلاترى الشارع.. !!!

سرنا فى شوارع خالية نظيفة هادئة !!! كان هو هذا الهدوء الرائع الذى كنت ارجوه دوما .لذلك رحت املاء صدرى من هذا الهواء الندى المنعش فى رحيل ايام يناير الاخيرة . كنا فرحين ! ... ياللعجب قلت فى نفسى "تلاقية ماتش كورة ... تخلو الشوارع اثناء مباريات الكرة للفرق الكبيرة ! نعم انها مباراة بلاشك...
حين بدا لنا السوبرماركت الشهير ونحن على الجانب الاخر من الطريق الكبير الفسيح كان هذا السوق الضخم الشهير قد اغلق معظم ابوابة واحتشد عمالة فى الخارج عند الباب الرئيسى ؟! نظرت فى ساعتى ! هل هو وقت الراحة ! انه وقت تغيير الورديات بلاشك... ! ولكن الغريب انهم متحفزون كانهم مضربون عن العمل ... ان بعضهم ايضا يحمل عصى !! . "ياالله.... هى بلاشك عركة كبيرة سوف تاتى الشرطة بلاشك !!! ..
.وقفت على الجانب الاخر من الطريق ورحت اتجول بعينى . اين ذلك الدكان الصغير الذى يبيع الايس كريم. سنشترى ثلاثة... سألت زوجتى : هل نشترى قبل ان ندخل السوبر ماركت ام بعده !!

ظهرت سيارة جيش تحمل جنودا يحملون السلاح مرت كالبرق من امامنا !!
اه.... نعم ... لقد جاءوا ليوقفوا هذا الشجار ! لاشك ان الامر تجاوز الشجار العادى... نعم استطيع ان اخمن ذلك

ثم على اول الطريق تحركت دبابة ثم رايتها لاول مره فى الحقيقة ... دبابة ... ! ياللهول دبابة !!

لا ... ! نحن فى شارع مصطفى كامل... فى قلب المدينة . وقفت الدبابة عند اول التقاطع وسدت الطريق – حينها فقط قررت ان لامجال للايس كريم ولا عصير القصب لقد قررنا ان نعود للبيت فثمة امر يقلق !

عند اول شارعنا جرى ناحيتى صديقى وجارى محمود ربيع
اية يا. ... اية اللى مخرجكم فى الظروف دى ؟
ظروف اية ؟... هوه فية اية ؟

.....

ثم قالوا لى ان ثورة قد حدثت ....

حين قال وسادت لحظة صمت كانت كل اذن موجودة بالغرفة تنصت باهتمام وكل عين ترقب كل كلمة ...

صمت قطعة سؤال زميل .

ايوه وبعدين ؟ -

ضحك هذه الضحكة التى لاتفارقه ونظر الينا وهو يقوله ببساطة
- تعشينا بيضا مقليا ونمنا بعد صلاة العشاء .....
.....
جاء زميل من خارج الغرفة اشار الينا بيده ان دفتر التوقيع للانصراف قد خرج .

زكـــــريا الشافعى
الاسكندرية فى ذكرى ثورة يناير "غضبة شعب "

"عشرة عمر "

كنا صغارا فى ذلك الزمن الجميل نحيا هذا العمر الغض بكل رحابتة وبساطتة وكانت المدرسة على اطراف الحى تحملنا اقدامنا الصغيرة اليها فى بضع دقائق كنا نطير جريا الى بيوتنا . وكان الاستاذ عمارة هو مدير مدرستناالابتدائية .شخصية فريدة تدهشك حتى بتفاصيلها الدقيقة وبساطتها الرائعة ثم بقدراتها الاجتماعية الفذة وتدهشك ايضا بتناقضاتها تعجب حين تعلم ان الشىء ونقيضة يجتمعان فى شخص هذا الرجل .و تعجب كل العجب من هذه الذاكرة الرائعة التى يتمتع بها الرجل .فقد كان يعرف الطلبة ولدا ولدا وبنتا بنتا . كان الرجل يستطيع ان يتذكر ان احدنا قد حضر متاخرا فى يوم كذا من الشهر الماضى او ان درجاتة فى مادة كذا كانت منخفضة بل اكثر من ذلك كان يعرف اين يقيم كل منا

خد ياد يابن عبد الجواد :ابوك عامل اية ياولا ؟ هة فك الجبس ولالسة .

ياواد ياحسين يابن بنت الشيخ صالح : ابوك ياواد صلى الجمعة اللى فاتت فين ؟

كان يقف خارج مكتبة وينادى "انت ياواد يابن الهرمة منك لية"!!! صوته فقط كان كافيا لاستتباب الامن والهدوء فى الخمسة عشر فصلا بل فى بعض غرف المعلمين التى ينبعث من بعضها نقاش حاد .

وقد كان ذلك الرجل الذى تجتمع عندة القلوب كان هو الرجل الذى تجتمع عنده كل الخيوط .فى العمل ، وخارج العمل. فهو فى المسجد وفى النادى او قل استراحة المعلمين كما كنا نسميها وفى احتفال الاستاذة منال بمولودة ابنتها . وفى تطييب خاطر سلامة العامل الذى فقد ولده الرضيع . وهو عند دار اهل سكينة مرات الاستاذ عبد الجواد معلم التاريخ ليردها اليه بعد ان ظلت اسبوعا فى دار ابيها.

كنا طلبة فى مدرسة المنشية الابتدائية وكان الرجل مديرنا كنا نهابه ونحبة وكان كل اباء الطلبة يعرفونة . كان هو هذا الخليط المستحيل النادر من الشدة والرقة ، الصرامة والحنية كنا نراه ثائرا حتى لاتقف الدنيا امام احدى غضباتة ونراة يحادث طفلا ويساله ويمازحة ويضاحكه كانه صديق سنة .

كنت افرح بزيارة ابى للمدرسة فقد كان رحمه الله وجيها يحسن ملبسة وكنت ارى كيف انه يرحب بابى ويسال عن جدى فهو يعرف الشيخ شافعى اب ابى لكنى كنت اتوجس خيفة من لحظة دخولى مكتبة فقد كنت اظن ان الرجل سيقرا افكارى ويعرف مافعلت وماسوف افعل.

نعم كنت مجتهدا فى دراستى واظن ان ابى رحمة الله كان فخورا بذلك ولكنى كنت ايضا هذا اللهو الخفى والعفريت الشقى وقد حافظت حتى هذه اللحظة على الا يعرف الرجل هذا الجانب منى

نعم كنا نسمع صوتة مجلجلا وهو ثائر يؤنب احدا ما على تقصيرة فتجد الجميع وقد اسرعوا يراجعون انفسهم ليتاكدوا انهم لن يكونوا عرضة لمثل هذا التأنيب . كان صديق عمرة الاستاذ عبد الرضى ، جمعت بين الرجلين صداقة عمر طويل وزمالة فى العمل . لعل كلاهما كان يحرص على ان يكون فى نفس المدرسة التى يعمل بها الاخر وكانت هذه هى الرابطة الروحية بينها تجعلك فى عجب فقد كانا كانما روح فى جسدين يعرف كل منهما مايفكر فى الاخر ، وقلما وجدنا ان للرجلين رايين مختلفين ومن غريب الامر ان الاستاذ عبد الرضى كان هو الاخر اذا ثار على ضوضاء الاولاد يصيح فيهم " ياواد يابن الهرمة منك لية "
فكانما تسمع الاستاذ عمارة المدير
وذات يوم اختلفا ورأينا بام اعيننا هذا الحزن الدفين فى عينى الرجلين فقد انزوى الاستاذ عبد الرضى فى حجرتة يكاد لايكلم احدا و راينا المدير وهو يكاد لايقوى على السير فى فناء المدرسة وهو يجوبه صامت لايكلم احدا حتى انه مر بولدين يتشاجران فلم ينتبة اليهما.

مر يومان كان يمكن لاى احد ان يدرك فيهما هذا الفارق فقد كان المكان ايضا صامتا حزينا
جائت الاستاذة اعتدال وهو امراة بدينة جدا كان بعضنا يتندر على مشيتها المتثاقلة .
والاستاذ سلامة معلم اللغة العربية رجل لم يسمعه احد ينطق كلمة عامية وكنا نتندر احيانا ونقول انه جاء من العصر العباسى كان اذا القى كلمة فى اذاعة المدرسة لانفهم معظمها لاندرى هل لحداثة عمرنا ام لان الرجل كان يعب من ذخيرة اللغة وعباراتها التى تستعصى على الفهم

راح يتكلم همسا مع الاستاذ محجوب وقد انضمت الى الحديث الاستاذة اعتدال
-..... والله ياجماعة هذا امر محزن لم ارهما ابدا هكذا !!
- .. نعم يااستاذ يعنى مش ممكن حضرتك ... يعنى وتصلح بينهم ؟
- والله سافعل مابوسعى ؟
وكان اجتماع من تلك الاجتماعات الدورية التى يحتمع فيها معلمى المدرسة .

حضر الجميع فى القاعة الشرقية ولم يات المدير بعد ..... ولاتحرك الاستاذ عبد الراضى من غرفتة.

اخبروا المدير ان الجميع حضر. هز راسة وحانت منه التفاتة ناحية هذه الغرفة فى اقصى فناء المدرسة ..... .

جلس المدير على كرسية صامتا . جال بعينين حزينتين وبنطرات تائهة الى هذا الجمع من المعلمين امامة ثم ثبت عينية على ورقة بين يدية انتظر الناس كلمتة التى اعتادوا ان تكون درسا وعظة وبسمة فقد كانت ابتسامته ونظرتة الودود التى يوزعها على الحاضرين لاتفارقة ابدا وتعليقة الساخر الضاحك على بعض الاحداث هو حديث الجميع وتعليقهم لبقية الاسبوع . لكنه ازاح الوريقات الى الجالس بجوارة واشار علية ان ينوب عنة فى الكلام ، قال الرجل بضع كلمات ثم ساد صمت رهيب خرجت من بعده الكلمات من فم المدير كانها البكاء

- حد يبلغ ال..... توقف برهة قبل ان ينطق كلمة الاستاذ ... عبد الرضى – فلم يعتد ان ينادية الابكل تلك الاسماء التى جمعتهم فى الطفولة جيرة و طلبة فى نفس المدرسة ..... ثم فى كل مراحل العمر حتى تخرجا سويا من مدرسة المعلمين.

فهو عبده – وراضى – والرف (وهذه لانه كان صديق ملاعب الصبا وكان يجيد التحكيم) وكان الاستاذ عبد الرضى يمازحة بلقب الكبير ثم يلتفت الى من حولة ضاحكا "هذا كبيرهم ان كانوا .... " ويتبسم من فهمها ويقهقة الكبير.....

_انت كبيرنا .... انت اكبر منى ... اى نعم انت اكبرمنى ب ٣ شهور

كان الكبير او المدير غارقا فى افكارة وهو جالس حتى اخرجتة كلمة يامدير التى نطق بها الحاج على والحاج على هكذا كانوا يسمونة لم يكن احدا يلقبة الابهذا اللقب كان اكبر المعلمين سنا وكان الاخصائى الاجتماعى

- يامدير !!

وهكذا خرجت الكلمات من فم المدير بطيئة حزينة . كان بوسع الجالسين ان يسمعوا انين صدر وبكاء قلب رجل خط الشيب فى خطوطا عريضة كانت الكلمات تخرج من صدره فمة حرى ثم وقف وهو يجاول جاهدا ان يستجمع

" قولوا لعبده احنا ماينفعش نخاصم بعض لاننا .... وكان شهقة مكتومة فى صدر الرجل اجتث الكلمات الباقية فصمت ....

وتوارت العينان الطيبتان حين ملأهما الدمع . ثم هب واقفا وغادر الاجتماع .وساد هذا الصمت الحزين والكل فى دهشة وهو يتجة الى باب المدرسة ثم يعود الى الساحة

الكبيرة التى تتوسط البنائين ثم الى غرفة فى اقصى فناء المدرسة وهو يصيح بصوت متحشرج.. ياعبده .....ياعبده
وقبل ان يصل كان الاستاذ عبده قد وثبت الية وانخرط الرجلان فى بكاء وعناق ثم ضحك وبكاء ثم عتاب
مش عيب عليك ياراجل تبكى هههه
-لا انا مابكيش انت اللى بتبكى
حتفطرنى والا اية انا مفطرتش بقالى يومين
يعنى انا اللى فطرت هههههه
نشوف حد يفطرنا حينها كان هذا الجمع من المعلمين يصفق ويهلل وهم يسرعون الخطى تجاههما
وكان الاستاذ سلامة اول من حضر وقد وصلت مسامعة هذه الكلمات الاخيرة وقد اتسع فمة عن ابتسامة عريضة لم تفلح لحيتة الكثيفة على اخفائها وهو يقول
- لابأس . علىّ قِراكما " "يقصد انه سيفطرهما !
فانفجرا ضاحكين

زكريا الشافعى

الاسكندرية فى يولية ٢٠١٧

عمى جمال المصرى

. كان ابى وكل اعمامى السبعة وعماتى يسمعون حين قال جدى

- " شجرة الجميز... اللى برة دى.. من عمر سعيد ولدى الكبير " وراح ينظر في ابناء اعمامى الصغار كانما يبحث عن عمى سعيد وهو صغير فيهم !!!

نعم كنا جميعا هناك فى الدار الكبيرة التى كانت تجمعنا دوما فى الاعياد والاجازات يجتمع اعمامى وعماتى ياتى البعيد والقريب . كان الجميع هناك حتى عمتى اكرام التى تعيش فى الخليج منذ اربعة عشر عاما جاءت ،لم يات معها احد من بناتها ولاحتى زوجها. نزلا فى شقتهم الجديدة فى الاسكندرية .

عمتى ام سليم هى الاكثرشبها بابيها . دخلت وهى تحمل الشاى... صينية امتلات صفحتها باكواب الشاى الثقيل الذى اعتدناه بعد وجبة دسمة جمعت العائلة وضمت عدة اجيال منها .راح الجد يجول بعينية المنهكتين وهو يمسك بكوب الشاى بيد مرتعشة .وكانما يبحث عن احد... كانت ام سليم من وقت لاخر تمسك الكوب من يده لتساعده لكى يرشف منه.

سألها الجد "لم يأت جمال ؟".

لم ينطق احد بكلمة - ساد صمت ثقيل - ربتت ام سليم على ذراعة وشبت بجسدها الكليل الذى انهكة كفاح طويل مع زوج عليل. كان لايقوى على الحركة فى اخر ايامة لم يمض على وفاتة كثير.

- واسكتته بقبلة حانية على راسة "جاى يابا ...جاى ".

وكانها ام ابيها اطرق الجميع فى صمت واغرورقت بعض العيون بدمع صامت. قطع الصمت رشفة شاى وكلمة "هيييية.... الله يرحم الجميع".

رحل جمال كما رحل ابوسليم – ابوسليم هناك يرقد غرب البلد .

ابوسليم... ابوسليم..؟! لا اذكر للرجل اسما الا هذا. وتعجبت ان لأحد من ابنائه الاربعة الذكور اسمة سليم ، وددت لوأسال- شىء ما منعنى ،ربما اسال ابى فيما بعد .اخشى ان يكون فى الامر ذكرى ما فيها مايؤلم .

لا لم يات العم جمال ! كان العم جمال اقربهم الى قلبى كان شابا لاتسع الدنيا ضحكته .تكاد قدماة تطيران من فوق الارض .تحس انه يطير يزور الاخ والعم والخال .صباح فى الاسكندرية ومساء فى طنطا .جمعة فى ابى العباس وجمعة فى النور فى العباسية .

تجده فى الصباح اذا اصبح فى الاسكندرية ايقظ عائلة اخية ليفطر الجميع بالفول والطعمية التى تسرى رائحتها مختلطة برائحة البيض بالبسطرمة يتبسم الجميع فى وجهة وهو يدلف الى المطبخ بنفسة ليعد الافطار. تعجب امى من قدرتة على ايقاظنا جميعا .

همس عمى ابراهيم فى اذن ابى مرة انة ربما كان مع الخمسة عشر مهاجرا غير شرعى الذين غرقت بهم المركب فى طريقهم لايطاليا

.بعض من كانوا على المركب اعطونا مواصفات قريبه جدا له . يقول احدهم رفعنى على صندوق "عائم وغاص لينقذ زميل اخر"." نعم كان جمال ...ولم يكن احد منا يجب ان يقول

اسمة ولاجنسيتة كنا قد مزقنا الاوراق"
- زوجة عمى عبد العاطى موجة اللغة العربية تؤكد انه كان فى التحرير فى بداية الثورة مع اولئك الشباب .....فقد مر عليهم فى بيتهم فى شبرا فى القاهرة ."
- كان معهم .. " تقولها بيقين " حين زارنى ... فرك بيدة بقعة حمراء على قميصة ..
كانت دم صديق له " لاتدرى بعد يوم خمسة وعشرين يناير بخمسة ايام ام ستة زميل له فى البلد يقسم انه كان يحدثة عن فرصة حقيقة للعمل.... فى ليبيا.
يقول اسالوا فلان فقد كانا فى القاهرة سويا يرتبان لهذا .
سمعت كلمات من حديث هامس بين عمى صلاح مفتش المباحث وزوج عمتى صفية رجل ذو نفوذ يعمل بالمقاولات والبناء
..."ياصلاح بيك .." يعنى موش منهم "
اصغينا "--- اصحابة اللى هما .....دول .... لا كلهم فى السجن."
يعنى هو كان من الاخوان !!!؟"
..... كان عمى جمال يدخن ويضحك ويسخر ويداعب الجميع كنا نعلم فتاتة التى يحبها ونسمع شعره فيها .....وكنا نطرب لغنائة... ونضحك لنكاتة ...حتى القديم منها .
.يدندن بشىء مألوف .. لااعرف ماهو.. وهو يمشط شعرة الناعم الكثيف .
يحلق ذقنة.... يجعلها ناعمة.... يلتقط الشعيرات الشاذه هنا وهناك . يداعب صورتة فى المرآة قبل ان يسير بخطى وئيده الى الزاوية البعيدة ... زاوية الشيخ ريحان ،فى اطراف الحى هناك اعتاد ان يصلى الجمعة ... يعجبة الشيخ هناك... يقول الرجل "متمكن ".

– جارتنا الحاجة روحية امراة فى العقد الخامس من عمرها ....زوجها حبيس منذ سنين قاد الرجل احتجاجا على تأخر الرواتب فى احدى شركات الغزل فقبض علية. مازال خلف القضبان بعدة تهم ليس منها انه احتج ؟!. سارت فى كل تظاهرة تندد بالظلم وصرخت باعلى صوتها مع الجموع تنادى بالعدل .
. ذهبت الى كل مكان اجتمع فيه محتجون ... كانت تصرخ وتنادى باعلى صوت وتدعو ان يعيدوا اليها زوجها لم تعد تقوى على هذا الحمل الثقيل .تقول انها رأت عمى جمال يحمل صندوق كبيرا من زجاجات المياة قبيل المغرب فى رمضان كانما يجرى به .....
اخذنى احد اصدقائى من يدى فى الجامعة وقال تعال استمع لهذا

– رايت شابا شعره كثيف.. يكاد يحجب وجهة المنكب على التابلت ،واصابعة التى تتحرك على سطحة اللامع الزجاجى فى خفة .

لايمكن لعيناك ان لاترى هذا الخاتم الغريب لجمجمة فى اصبعة الاوسط وهذه السيجارة المنسية وهى تحترق فى صمت بين احدى اصابع يده الاخرى .وهذه الشنطة المشدودة على ظهرة كانها جزء من ملابسة .

لم يشعر بخطواتنا المتجة الية الاحين ناداة صاحبى بلقب ما لاأذكره قال "جى.. او تشى !!" شىء من هذا القبيل ..هب الفتى ليرحب بنا. حيا صديقه بحرارة ...وسلم على بكل ود وابتسامة عريضة تضىء وجهه .

"قل له..." قالها صاحبى . نظر الشاب الى نظرة جادة تغيرت فيها كل ملامحه بدا لى منذ لحظة شيئا اخر.

قال "هل تعرفة..؟" وجال بنظرة بينى وبين صاحبى .....

" قلت نعم " .

رفع امام اعيننا صورة على اللوح الزجاجى اللامع. كانت لوحة حائط كبيرة

- "هذه الجدارية رسمها .... .. " انا لااعرف اسمة هذا العمل الرائع ... بدأة هو ...وساعدناه فى اكمالة ..للاسف ليس عندى صورة له الا هذه ... . "

مر شهران .... مات جدى... واختلف اعمامى ، تشاجر بعضهم ... سب ابن احدهم عمى الاكبر فى وجهة . اخرج احدهم سلاحة !!! . هدد به ابن اخية .: "ولد قليل الادب " .

دوت صرخة امراة فى قلب الدار .

تركت ام سليم الدار....هجرتة .

حين عاد ابى للبيت ذات مساء صامتا لمحت امى فى عينية هذه الدموع الصامتة دموع الرجال وهو يلقى فى يدها هذا المبلغ الضخم من المال .... لم اكن فى حاجة لان اسأل ... دخل ابى الى غرفة نومة ولم يتناول العشاء .

حين علمت ام سليم ان المقاول الذى اشترى الدار قد هدمة بكت .

قالوا انها كانت تبكى.... وتذكر عمى جمال. بكت حتى مات فيها البكاء .....
بحثت عن صور لعمى جمال ... ،فى الاعياد ،فى الافراح .فى اعياد ميلاد الاولاد. فى الرحلات ،فى المناسبات .

كان جمال هناك فى كل مناسبة ولكن لم تكن له صورة !!!.

" قالـولو "

كنت اجلس الى هذا المكتب الصغير بعد ان انتهيت من احدى حصصى حين جاء الى الاستاذ س بابتسامته المعهودة وكلمة الترحيب التى لاتغيب عن لسانة فانا مازلت احدث الوافدين على المدرسة فانا كما تعلمون اعمل معلما فى المدرسة الثانوية . جلس الاستاذ س وقد كنا نتجاذب حديثا مرحا مع بعض الزملاء نعلق فية على احدى سلبيات مجتمعنا التى كثرت حتى ماعدنا نقوى على تحمل الحزن عليها فكنا نسخر منها لنضحك .وضحك حين ضحكنا جميعا ثم استبق الجميع وبدا كانة يوجة الكلام الى:

- "ساحكى لكم قصة ..." ونظر الى وهو يبتسم ابتسامة فهمت انه يذكرنى بأنى اكتب قصصا .

وبالفعل قال " لست اجيد القصص مثلك ياستاذ "....

لكن دعنى اقول لكم انها قصة حقيقة... نعم فقد رأيتها بأم عينى. واقسم الرجل فقلنا انه لاداعى لذلك فكلنا يصدقة

ثم تركناه يروى القصة ..

قال " هل تعرفون وقت ان كانت شرطة المرور توقف التاكسيات لتمنع ركوب اكتر من طلب فى المرة الواحدة؟!!!"

." فاكرين الايام دى ؟! ايام كانت الاسكندرية احسن وانضف" .

وطبعا بعد ان تحسرنا على هذه الايام، سكتنا جميعا ليكمل الاستاذ "س " قصتة . قال " كنت قد اخذت تاكسى من الابراهيمية، حيث اسكن الى سيدى جابر فى زيارة لاختى..... وكان ليل الاسكندرية قد غطى شوارعها الفسيحة.... توقف السائق لاثنين كانا يشيران الية . ولدهشتى كانا كفيفين!!! وكانا فى طريقى ايضا اخذهما السائق وراح يشق شارع ابوقير الى وجهتنا " .

" واثناء الطريق لاحظت ان السائقين فى الاتجاة المقابل يشيرون الينا. ففهم السائق ان ثمة لجنة –يعنى كمين للشرطة على الطريق للتفتيش _ تفتش على سائقي التاكسى الذين يحملون اكثر من طلب. لم اكن بالطبع امانع ان يكون معى راكب اخر ، خاصة اذا كان الامر يتعلق بماهو انسانى وواجب..... وقد قلت لكم... كان الرجلان كفيفين !!!"

"راح السائق ... وقد ادرك انة على بعد امتار من اللجنة ، يؤكد على الرجلين ، اكتر من مرة، لكى يقولا اننا طلب واحد ، وان اسمى "احمد صالح" واننا جميعا مع بعض!!."

كررها السائق اكثر من مرة وهو متجة الى الكمين ببطء .

اقترب الضابط من السيارة وربت بيده على احد زملاء الرحلة الجالسين خلفى . فانطلق الرجل بصوت هادر:

"..خلاص ياأخى بقة فهمنا .. حنقول ان الاخ اللى قدام دة اسمة " احمد صالح" واننا كلنا مع بعضينا ... مش حكاية يعنى!!! " .

!!!.....!!.....
ضحك الضابط حتى خرج عن وقار الزى الرسمى بالنجمتين اللامعتين ... وتركنا نمر .

الاسكندرية ٣مارس ٢٠١٧

زكريا (مع شكرى وتقديرى للزميل الاستاذ س)

قصة بلانهاية

حين نظر فى ساعته وهو يسرع الخطى فى طريقة الى عملة كانت الساعة قد تجاوزت السابعة بقليل ، فدفعة ذلك الى ان يزيد من سرعتة .فصارت خطواتة وثبا، وصار كلما ضاق به الرصيف وثب الى الطريق، فهو لايستطيع ان يبطىء. نعم ، لايمكنه ان يسيطر على قدمية اللتان تعملان الآن كالآلة . حتى اذا زاحمة المارة في جانب الطريق ، راح يسير بين السيارات المتكدسة فى الطريق وتكاد تسير بسرعة لاتزيد على المارة قليلا كان يسير غير عابىء بالسيارات التى تكاد تلامسة وهى تمر بجوارة ، وهو يكاد يسمع سباب السائقين المختلط بابواق سياراتهم. كان يمرق كالسهم وسط هذا الطوفان الهادر من الذاهبين الى عملهم، وطلبة المدراس وعمال اليومية. خليط من الناس من باعة ومارة وفتيان فى مقتبل العمر مجتمعين على احد النواصى. ورجل كهل يسير بعصاه وهو يحمل فى يده صرة كبيرة يقطع طريق المارة ، فلايملك الناس الا ان يسيروا على سيرة فى هذا الممر الضيق الذى سمحت به هذه السيارة المتعطلة التى تركها صاحبها منذ امس .

لايريد ان يتاخر فقد خصم من راتبة فى الشهر الماضى بسبب هذا التاخير .ولم يفلح فى اقناع مدير عملة بشىء من اسباب تاخره كل يوم هذه العشر دقائق لم يكن الرجل يعرف شيئا اسمه السبب والمبرر كان يعرف شيئا اسمه القانون يعرفه ويتلوه على مسامع موظفية كلما اخل احدهم بعمل ما

– "النص يقول" – " والمادة.... تلزم ..وتفرض ...وتقرر" وكان يعرف شيئا اخر اسمه " اللوائح".

وكانت اللائحة الداخلية قدسا آخر لايمكن ان يسمح بانتهاكه ، لذلك كان هو فى نظر مديره نموذجا فجا وقحا للموظف السىء .

كان مديره رجلا غليظا جافا لم يذكر احد انه راه يبتسم كانت المرة الوحيدة التى يذكرونها كانها تاريخ وحدث لاينسى يوم جائت لشركتهم هذه السكرتيرة من مكتب شركة الطيران فى المبنى المجاور ة.

- ياللهول لقد تاخر ثانية لقد اصبحت السابعة وخمس دقائق اسرع اكثر فاكثر فى سيرة.

وحين بدا له مبنى الشركة ،جرى.

نعم جرى!

متجاهلا كل نظرات الدهشة من حولة .كانت سيارة المدير التابعة للشركة هناك بجوار مدخل الشركة .

وكالعادة كان سائقها بالداخل لايغادرها. فالتعليمات التى سمعها هذا الرجل ايضا قبيل

خصم يومين من راتبة وبعد فاصل من التوبيخ كانت تبقية فى السيارة لايغادرها حتى الى دورة المياة !!!!.
كان ينتابه شعور بالشفقة على هذه السيارة ويشعر كان رابطا ما يربطة بها يشعر الرجل انها مقهورة مثلة .
نعم هذه السيارة الحكومية التى امر الرجل بازالة كل "الدلايات " "والدباديب " "والملصقات " التى وضعها المدير السابق حتى هذه الفواحة التى كانت تعطر السيارة ازالها !!!.
قالها صريحة للسائق : " اسمع ياا--- تشيل كل الحاجات السخيفة دى " !!!
لقد ازالها السائق فعلا !!! فلم يكن يعرف او يتصور ان هذه " الحاجات السخيفة" يمكن ان تشمل فواحة العطر – او المسبحة المعلقة خلف المرآه ولاعلبة المناديل حمراء اللون ،ولاخطر على باله ان يكون من ضمن هذه السخافات الميدالية التى اضافها الرجل لمفاتيح السيارة .والتى كانت على شكل كرة !!!

كان الرجل يحكم فى مملكتة !!! . يعرف بعض الناس فى الشركة انه ينتمى بصلة القرابة لاحد كبار رجال الدولة .
يعلمون الان ان شكواهم لن تجدى نفعا .فسكتوا على مضض ،

كان العمل يسير مستقيما متصلا منضبطا كالساعة روتينيا كالالة وكانت الارقام تقول ان الانتاج يزيد ! او هكذا بدت الامور والارقام فى الدفاتر لاتكذب فعليها الاختام والتوقيعات !!وليس لاى احد كان ان يشكك فيها !!!

ومرت الايام كما لايمكن لشىء ان يتغير وكان الامس هو اليوم وغدا هو الامس .، جمعهم فى نهاية يوم عمل شاق والقى على مسامعهم خطبة عصماء عن العطاء .. والاخاء ....والولاء. !!! وكلمة طويلة عن الواجب والفرض. والفرق بين الحب والمحبة. والحبة التى تصنع القبة’ فى جمل قوية البناء ، منمقة ، محكومة الوزن والسجع . ثم اقترح عليهم ان يعملوا ساعة االضافية مجانا !!!
وحدثهم بعدها عن شعوب الدنيا ، ورحلاتة فى الخارج. وبعد ساعة بالتمام والكمال خرجوا من الشركة ولايقوى احدهم على النظر فى عينى الاخر فقد وافقوا جميعا !!!!،كانوا يعلمون ان بعضهم صار عينا على البعض .فقد شهدوا باعينهم قرارة بنقل واحد من زملائهم الى قسم اخر كنوع من العقاب .لانه قال يوما ان العمل كان افضل فيما مضى .

وحين جائت لجنة من لجان التفتيش على كفاءة وسير العمل بالشركة، تعجبوا حين منح عددا منهم اجازة !!!، واستبدلهم باخرين يعلم الله من اين اتى بهم كانوا جميعا فى ابهى صورة بملابس السهرة !!! وجد هؤلاء وجوها غريبة تجلس على مكاتب زملائهم ولم

يمض طويلا حتى ابلغوا ان ترقية مصحوبة بزيادة فى الراتب والميزات قد حصل عليها الرجل نتيجة لهذ الزيارة .

مرشهر ثلاثون يوما بالتمام والكمال عمل فية فى ناد ليلى او قل ملهى ليلى او "كبارية" ان شئت . العمل الوحيد الذى وجده ليستطيع ان يكمل مصاريف البيت وهناك رآه .....

مر شهر.... اصبح ساعيا للمدير العام كان ساعية بالنهار يحمل له القهوة السادة

وساقية بالليل يحمل له الكاس !!!

حين نظر فى ساعتة وهو فى الطريق الى عملة كانت الساعة قد تجاوزت الثامنة وكان يسير بهدوء الى الشركة لايسرع الخطى وفي عينية تلك النظرة ودخل من الباب على مهل ليجد السائق متكئا الى السيارة كأنة مقيد اليها ...كان الرجل يحدق فية بذهول فبادرة بابتسامة ساخرة صباح الفل!!

زكريا الشافعى الاسكندرية فى ٨ – ٢ -٢٠١٦

جحا – قالت لى امى

من منا لايريد ان يعود ذلك الطفل الذى تنظر امه فى عينية فتعرف مايشغله ؟! . نود ان نعود اطفالا فى احضان امهاتنا. لحظات نرتاح فيها من كبر مشاكلنا وثقل مسؤولياتنا.. نود ان نعود اطفالا ولو للحظات ..نحيا فيها لحظة ان كانت ضحكاتنا تسع صدورنا وقلوبنا ، وتملا الدنيا صخبا وسعادة ، حين كنا ننام وعلى وجوهنا بسمة ونصحو وعلى شفاهنا اثار ضحكات الامس . ياالله لكم مرت السنون سراعا ! خط الشيب فى الرؤوس خطوط سميكة ، وتثاقلت الخطوات التى طالما كانت لاتكاد تلامس الارض . كنا نعدو ولانمشى ، ونعب من اللعب حتى لاندع منه شيئا ، ونشبع مرحا حتى كأننا لانبقى لغيرنا منه شيئا .

اتسلل هاربا من صخب ابنائى الثلاثة وزعيق امهم فيهم ،ومن لقب رب الاسرة وكبيرها واصعد الى شقة امى .. اعود طفلا هكذا فى نظر امى.. صغيرا رغم الشيب الذى خط راسى . وزوجة قاربنا ان نكمل عقدين من العمر سويا ، وعدد من الابناء فى مقتبل العمر. تبتسم وهى تقول : فين العيال .

- ياامى ... ده انا هربان منهم !!!
- .....

احكى لامى اننى فى عملى فعلت كذا... فلم يعجب الناس.. وفعلت كذا فلم يعجبهم ايضا..

-" الناس ياامى لايعجبها اى شىء" .... ضحكت امى هذه الضحكة الودودة الطيبة وتبسمت هاتان العينين اللتان لم تستطيع تغاضين السنين ان تخفى بريق الرضا فيها ...

كان ردها بان اقتربت منى واشارت بيدها ان اقترب.. ثم ربتت على المقعد بجوارها

- " تعال اقعد هنا"

" تعرف جحا .. ؟ " وراحت تحكى لى

كانت الحدوتة أو هذه الحكاية هى الرد على شكواى !

" وعدت بالسنين طفلا فى حجر امه يسمع حدوتة قبل النوم

- "عارف ياواد قصة جحا والحلة...؟ "

- "ايوه ياامى عارفها ؟ -

ضحكت وكانها لم تسمعنى ...

-" اسمع .. حاقولها لك "

ضحكت .. ورحت اسمع بعد ان صليت على النبى مرة ومرات وزدتة صلاة

- " حجا استلف من جارة حلة ليطبخ فيها .وبعد يومين رجعها له ومعاها حلة تانية صغيرة ؟؟ (هه صليت على النبى) " تعجب الرجل وسأل حجا فقال له حجا : - " الحلة ولدت ؟! " وطبعا كلها عقاب (يعنى بقية) نهار.. وكانت البلد كلها عرفت الحكاية.. فراح اهل البلدة يرسلون حللهم ومواعينهم الى بيت جحا.....
ومر يوم.. واثنان.. واسبوع ولاحس ولاخبر !! . ..
_ وراحوا يسالون حجا - " اين حللنا ياحجا ؟ " " اين مواعيننا ؟"
كان رد جحا لهم جميعا "جات تولد ماتت !"
ضحكت امى هذه الضحكة التى كنت قد سمعتها دوما كلما حكت لى هذه القصة
- "المهم غضب الناس من جحا ..... وراحوا للقاضى يشتكون الية ..... وطبعا القاضى حكم بالحقائق والادلة.... وحق الناس لازم يرجع .. اصر جحا .... واصر القاضى .....
فوضعوه فى جوال ليلقوه بعد صلاة الجمعة فى النهر" هكذا القصة .. لاتسالنى ارجوك .. فانا لم اسال ابدا !!! " .
وعادت امى تكمل بعد لحظة استغفار وبعد ان فركت المسبحة فى يدها ووضعتها جانبا لتضعها على كتفى بعد ان تمددت فى الكرسى
- مر راع بغنمه وخرافه بجحا فسمع جحا ثغاء الخراف فصاح باعلى صوته " لا لا .. عليا الطلاق مانا متجوزها ....
عدت طفلا فى سريره فى احد ليالى الشتاء فى بيتنا القديم تدثرنى امى ببطانية ثقيلة تدفئنى بقربها وضمه ذراعها وتحكم وضع الغطاء حولى ... " راح جحا يهدر بصوته من داخل الجوال الخيش "عليا الطلاق مانا متجوزها.... "
الغريب اننى فى كل مرة كان يغلبنى النوم فلا اسمع بقية الحكاية..... ترى ماذا حدث بعد ذلك.... تذكرت اننى فى كل هذه المرات التى حكت لى امى فيها القصة لم اكملها....!!!
وكنت تقريبا لا اعرف نهايتها.. تبسمت ... هذه المرة ساعرف نهايتها ...
توقفت امى قليلا وكانها راحت تسترجع القصة معى " قوم ايه ... جحا لما سمع ان فية راجل معاه غنم ومعيز معدى جنبة ... هه "صليت على النبى !؟ .....
لا ادرى كم مر من الوقت الا اننى انتبهت على صوت امى : انت ياواد .. ! انت نمت ؟ قوم ... قوم روح نام فى بيتك
- هه ! ايه ده ...هو انا نمت ولا اية ؟
ضحكت امى ...وهى تربت على كتفى قوم ... قوم .
- ياااه بكره عندى يوم عمل طويل ..هه تصبحوا على خير.. قبلت امى .. واحتضنتها ..والتقطت مفاتيحى وتلفونى لكنى تذكرت شيئا عند الباب فالتفت .

- الا بالحق.. هو جحا عمل اية بعد كده ؟
- تبسمت امى وقالت لى " روح نام واتغطى كويس الدنيا برد اليومين دول" .
فعلا كان تيارا باردا من الهواء عند باب الشقة.. رفعت ياقة الجاكيت فتحت الباب وخرجت فى البرد .
ربما اعرف غدا ماذا فعل جحا ؟!

زكــريا الشـــافعى
الاسكندرية مارس ٢٠١٨

الرجل الذى فقد عقله "

حين قالوا لى ان "عز" قد فقد عقلة لم اصدق . لعلى اعتبرتها نكتة بايخه , او دعابة ثقيلة . ف "عزت " او" عز " كما كنا ندعوه كان شخصية له حضور وله كاريزما طاغية . ولم يك متطرفا فى حبة اوكراهيته لشى ما . نعم كان يحب كرة القدم ، بل قل يعشقها ويجيديها حد الاحتراف . لكن مادخل كرة القدم بالجنون ..! كان امهرنا فى كرة القدم ،كنا نتحاشى اللعب فى الفريق الذى لايلعب هو فية .كان بارعا لدرجة ان احدنا كان يقول ان الكرة مربوطة بقدمة. فقد كان يمرق بها من بيننا كالهواء ... "عز" فى احدى المباريات فى استاد الجامعة وبعد ان مر من كل من قابلة بالكره المربوطة فى قدمية حتى من حارس المرمى الذى اندفع خارج مرماه بعيدا . كانت الكره قد تخطت خط المرمى حينها انشقت الارض عن احدنا ليخرجها خارج المرمى ... يشير عز بيده وهو يضحك " جون " . نندفع نحوه لا لا مش جون ... يضحك ملء فمه وهو يقول " طب والله العظيم جون " ثم وهو يلتفت الى ... " طب انت حقانى ... جون ولا مش جون ..."

. تشعر ان الاسم على مسمى "عز" فان اول مايلفت النظر فية هذا الوجه المستدير الصبوح المبتسم . وهذه الضحكة المجلجلة . وهذا الاقبال على الحياة !

لقد اكد لى اكثر من صديق ان "عز" قد فقد عقلة فداخلنى الشك فعلا ... قال احد الاصدقاء ،اصدقاء ايام المرح والصبا الجميل ،انه يتمشى غالبا ويجلس فى حديقة السكة الحديد ....!! وقال اخر انه رآه اكثر من مرة عند دكان ابوصابر الذى اصبح عطارة كبيرة بنفس الاسم ياكل شيئا ما وبيده سيجارة!...

تمر الايام وتكر مليئة بالاحداث ولعل ضغط العمل ورتابة الايام قد انسونى الموضوع ..لكن حدث ان مررت فى يوم بحديقة السكة الحديد مرورا عابرا . لم يك فى الحسبان فقد ساقتنى الاقدار الى هناك فى بعض شؤونى . فوجدت هذا الوجة الذى لايمكن ان تمحوه الايام من الذاكرة . وجدتة واقفا يتفحص الوجوه المارة فى هدوء . وجهه هو الشىء الوحيد الذى يمكن لمن يعرفه حقا ان يميزه .فلم تك ملابسة ولاجسدة المترهل ولاالحذاء المنبعج الذى يضعة فى قدمية ينتمى الى "عز" الذى عرفناه .

تيبست مفاصلى وانكمشت عضلات قدمى وتوقفت . ياالهى !! انه هو .. لقد رآنى هو ايضا !

-عز !! اهذا انت ؟!!!

-معاك سجاير ؟

-انت مش عارفنى ؟!!!

-عارفك – انت مبتشربش سجاير ؟

-اخرجت من جيبى مبلغا ماليا .. خد اشترى سجاير...

-كنت اشك انه يعرفنى فكررت السؤال ...عز انت عارف انا مين ؟

-نظر الى طويلا ... ثم قال استنى يا.... حاجيب سجاير

احترت هل انتظر ام اذهب .. فما ادرانى انه سوف يعود . لكن شيئا ما منعنى من التحرك ، على الاقل بعد ان رأيتة قادما وبيده سيجارة مشتعلة .

مر بنا اناس راحوا ينظرون الينا فى دهشة نعم كنا نثير الدهشة حقا !! ولاننى كنت نفسى اشعر بغرابة الموقف . فلم انتبة لهم كثيرا . لقد كان هو من تكلم .....واستمعت له.... قال كلاما كثيرا... كنت اجد صعوبة فى تفسير معنى بعض بل اكثر ماقال ....

لكن شيئا ما لااعرف ماهو كان يغضبه . فقد تغير وجهه وراح يسب ويشتم . وفجاة اصطدمت سيارتان فى الطريق ، اشتبك السائقان بالايدى ، وتعالت الشتائم .مرق "عز" كالسهم من امامى وباعلى صوتة وقف بين السائقين وراح يصرخ : "حاسب ... حاسب "..." اسكت ....." لم نفسك انت وهو ياولاد الكلب "... وفجاة راح يخلع ملابسة حتى اصبح كما ولدته امه !. توقف العراك !!! وصمت الناس.. !! وراح بعضهم فى نوبة ضحك مجنون.. ! وانفض الناس من حول السيارتين.. انسحب السائقان فى هدوء تتبعهما كلمات عز : " هه ... اقلع لكم ملط ياولاد الكلب .. .. امشوا.... امشوا.... ياكلاب "

والواقع اننى اختفيت انا الاخر وجدت ميكروباس ركبته على عجل .....ضحكت حتى دمعت عيناى . نظر الى الجالس بجوارى شذرا ....ثم ماتت الضحكات على فمى فقط حين طافت الذكرى بخيالى .....فبكيت ثم انفجرت فى نشيج عال ؟؟!

: يااااااه ياعز ..... لااعرف شيئا اخر كنت اقوله الا هذه الكلمة : يااااه ياعز.....

راح الرجل الجالس الى جوارى يضرب كفا بكف .... وهو يقول لاحول ولاقوه الا بالله !!. اللهم احفظنا ... .ثم ينظرحوله فى قلق ...

وحين وجد ان المقعد الامامى قد خلا هتف فى السائق :خدى جنبك ياابنى الله يحفظك...

زكـــريا الشافعى

الاسكندرية ابريل ٢٠١٩

كلام فى الحب

غادرت القرية لاول مرة بعد ان انهيت دراستى فى الثانوية, وذهبت الى القاهرة ذهبت الى المدينة فقد راى ابى ان التحق بالجامعة فى القاهرة فى مصر .كان ابى رحمة الله علية رجلا فاضلا محبوبا من الجميع كان يعمل موظفا فى الجمعية الزراعية وكانت امنية حياتة ان يعلم ابنائة الستة . يحب العلم والعلماء كان يجول بعينية بيننا يبحث عمن سيصبح يوما امنيتة ويحقق مرادة وقررت ان احقق امنية ابى قررت ان ارد لة بعض حقة على سافرت لام الدنيا سافرت الى المدينة وتركت القرية .

.بكت امى طول الليل.... كانت تخاف على ابنها من المدينة ...وفتن المدينة... ونساء المدينة !!

"بيقولوا الحريم بتمشى كاشفة شعرها " قالتها امى وقد ارتسمت الدهشة على ملامحها الطيبة الوادعة بل اسرعت يدها لتطمئن على وجود طرحتها فوق راسها ..

ضحك ابى وهو يقول لها " اومال لو تعرفى بيلبسوا ايييية ؟"

دقت صدرها بيدها وهى تقول " بيلبسوا اية ؟"

ضحك ابى ولم يجب ....

اخذنى ابى لاعيش عند احد ابناء عمومتنا الذى يعيش فى ام الدنيا منذ سنين .

كانت الجامعة لاتبعد كثيرا عن البيت فقد كان بامكانى ان امشى من الجامعة حتى بيت عمى . كنت منبهرا بكل هذا التنوع وهذا الزحام وهذه الدنيا الجديدة —

ورحلت عن قريتنا الصغيرة الوادعة الهادئة التى ترتوى من النيل مباشرة .

رحلت عن القرية ورحل معى كل زملاء الدراسة تقريبا . كنا جيلا متفردا . خرجنا سويا يدفعنا الامل والعلم . وكنا نعود فى الاجازات تجمعنا كعودة الطيور المهاجرة كان فينا من يدرس الطب والهندسة والادب ومن يدرس فى الازهر.

حين كنا ناخذ اجازة الدراسة نهرع عائدين الى قريتنا كعودتنا الى اوطاننا ومع كل شباب جيلى الذى خرجنا سويا كنا كاننا على موعد . كان هؤلاء هم من تجمعنا ذكريات الطفولة سويا واوائل سنى صبانا . ثلاث اماكن كانت هى جمعنا ولقائنا .ساحة الملعب ، قهوة الديربى ، دار الشيخ رضوان .

كنا نلتقى فى ساحة الملعب خلف الجرن القديم . حين كنا نلعب بجد حتى كأننا نؤدى عملا . وقد نغرق فى الهزر حتى لا نكاد نلعب

اوعند الديربى .... اوماسميناها مجازا قهوة... فقد كانت لاتعدو تعريشة من قش

وكراسى من جريد النخل ولكنها كانت تحظى باطلالة رائعة على صفحة ماء النيل الوادع . كان روادها قليلون ولايعرفها الكثير لذلك لم تتغير ملامحها وظلت كصفحة ماء النيل هادئة تستعصى على التغيرات التى طالت كل شىء ، مايكاد صاحب المقهى الرجل صاحب الوجه - الذى يمثل كل وجوه القرية فى طيبتها ووداعتها وابتسامة الرضا والقناعة التى نراهافى عينى هذا الرجل الودودة - لايكاد يرى احدنا حتى يسرع بوضع عدة كراس اعتاد ان يضعها لنا بعيدا . ثم يخبرنا ان فلان قد وصل بالامس وفلان كان هنا من قبله

كنا نجد بعضنا بشى كالحاسة الخفية . ضحك الرجل حين سالناة عن الاسم الذى يسمون به مقهاة "الديربى " فلم يكن لااسمة ولالقبة الديربى على الاطلاق وكانه تحرج ان نسمع منه قصة قد تبدو لنا طويلة وقد نمل من سردها قال اسالوا الشيخ رضوان ثم يبتعد ليحضر لنا الشاى او الكركدية ثم احجار الدومينو لعبتنا وتسليتنا المفضلة بصخبها ونحن متحلقين حول اللاعبين !!

عند الشيخ رضوان شيخنا واستاذنا الذى ربانا صغارا وعلمنا كل شىء كنا نجتمع لنسمع ونتعلم . كنا نعجب لغزارة علم الرجل وفطنتة . نعم كنا نذهب للمدرسة فى نجع حمادى . لكن الجلوس الية كان شيئا اخر . كنا نتحلق حول شيخنا رضوان ونحن بعد صغار. كان حديثة يصل الى قلوبنا ويملا وجداننا وينقلنا الى افق ارحب واوسع من حدود قريتنا .

كان شيخنا قد كبر سنة وهو منذ ان وعى الناس فى قريتنا يخطب الجمعة ويؤم الناس . وحين كبر سنة لم تفتر همتة ولاتغيرت نبرة صوت الشباب فى حنجرتة . كبر شيخنا حتى لم يعد تفارقة عصى يتسند اليها .

كان يحفظنا عن ظهر قلب التفت ذلت يوم وقد قام يؤم الناس للصلاة فوجد صديقنا الشيخ عبد الله الذى يدرس فى الازهر وكنا قد لقبناه بلقب الشيخ حتى صار يلقب بالشيخ عبد الله فامسك به من ذراعة وقال له صل بالناس وراح كانما يخاطبنا جميعا فية " اذا ماانتم تصلون بالناس فمن ؟ " فى احدى المرات صمت الشيخ رضوان طويلا وهو ينظر الينا جميعا ويجول بعينية الكليلتين حتى وقعتا على الشيخ عبد الله

" اسمع ياشيخ عبد الله ... انت تخطب الجمعة الجاية "

الشيخ عبد الله كان احفظنا واسعدنا ذاكرة حفظ القران كلة على يد الشيخ رضوان

الجمعة فى قريتنا عيد !! ا

واسترسل الشيخ عبد الله فى سرد سيرة احدى غزوات النبى – قال النبى مرتين ولم يقل صلى الله علية وسلم وزام الشيخ رضوان وتململ فى جلستة ثم هب فى الثالثة واقفا تكاد لاتحملة قدماه وقد اشرف بوجهة على الواقف على المنبر

والله ياواد ياشيخ عبد الله.... اذا ماصليت على سيدك النبى لاطلع لك " وعصاه فى يدة لم يستطع بعضنا ان يخفى ابتسامته كما بخفى دهشتة اما الشيخ عبد الله فقد راح يردد ... اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم صل على محمد وعلى آل محمد

وضج المسجد بالصلاة على النبى حتى اذا فرغ من خطبتة ونزل من على المنبر راح يقبل راس الشيخ وعينا الرجل الكليلتان ترمقة بنظرة عتاب حنونة وغضبة اب ومعلم وحين قرأ الشيخ عبد الله بصوتة العذب "محمد رسول الله والذين معة ....." سمعت نهنة بكاء

مرت بنا سنوات الجامعة و سنى العمل فى المدينة وقد تلقينا العلم وجلسنا الى معلمين واساتذه وكبرنا حملتنا السيارات الى القرية اصبح بعضنا موظفا وطبيبا ومهندسا . لبس بعضنا البدلة الميرى المرصعة بالنجوم . كبرنا لكننا مازلنا الصبية الصغار عند شيخنا نتلقى اول دروس العلم على يدية وكنا نستعيد طفولتنا عنده تعود بنا السنون الراحلة من اعمارنا نرجع ببسمة الصغار وعبث الفتيان كلنا الواد فلان ابن فلان
كنا ونحن صغار نخشى فراستة مما نعرف انفسنا .. كنا بعد صغارا و كان كانما يعرفنا ويستشرف المستقبل فينا كان الشيخ عبد الله مازال ابن عشر سنين حين ناداه يوما ياااشيخ عبد الله وحين نظر يوما فى عين صالح ابن حسين القطان وتبسم " اللى على على .. اوعى تنسى بلدك ياواد اما تكبر !!!" كنا نضحك ببراءة الاطفال فلما كبرنا تذكرناها وفهمناها حين عين صالح ولد حسين القطان فى وزارة الخارجية وندرت زياراته لقريتة !!
كنا نعرف انه صاحب فراسه وروحانية .
واخذتنا المدينة بصخبها .جذبتنا آلتها العملاقة . اصبحنا ترسا فى هذه الالة التى لاتتوقف ولا حتى تهدا قليلا وتباعدت زياراتى للقرية وجمعتنى بالشيخ عبد الله صدفة عجيبة وكان قد صار حديث المدينة لفصاحتة وعلمة كان كلانا يجهز اوراقة للسفر. كنت ساسافر الى عمل بالسعودية وكان هو لاداء العمرة .
وتواصلنا ، وفى زيارة للمدينة المنورة اجتمع خمسة منا الدكتور حسام الذى يعمل بالمدينة فى احد مستشفياتها والمهندس عبد الرحمن فى مشروع توسعة الحرم جاء الينا بسيارتة وعبود المدرس باحدى الجامعات
هناك وقفنا عند مقام النبى نكفكف الدمع حين راح الشيخ عبد الله يردد السلام عليك ايها النبى ...

" اللهم صل على محمد وعلى ال محمد ." .... " اللهم صل على محمد وعلى ال محمد "

... الله يرحمك ياشيخ رضوان
يوم ان عدنا فى الاجازة كنا جميعا فى القرية كالطيور المهاجرة عادت الى اوطانها –

قال شيخنا ومازلنا بعد صغار وقد فرغ من درسه ذات يوم " سافروا .. اياكم ان تنسوا هنا "
" الشجرة جذرها فى ارضها .. وميتها من ساقيتها "
ثم يستشهد بآية " ان الذى فرض عليك القران لرادك الى معاد "
نعم سافرنا جميعا وعدنا لنبحث عما بقى من صبانا فى ثلاثة اماكن .بقى فيها ذكرى بعيدة من ايامنا التى هجرناها ومن بعيد فى طريقنا لقهوة الديربى اسرع الرجل العجوز الجالس على كرسية فى ركن بعيد عن القهوة يامر صبيانة اان يحضروا كراسى للافندية فى هذا المكان وتكاد عيناة ترفص فرحا برؤيتنا .
اول مايلقاك من معالم بلدتنا اليوم مبنى فخم لاتكاد ترى مثيلا له الا فى المدن هو مستوصف الدكتور حسام الخيرى –وقد اتسع المسجد بعد ان اشترى الناس الدور المحيطة به فادخلوها فى عمارتة . على المسجد وعلى المستوصف لافتة كبيرة تضىء ليلا بالنيون :
اللهم صل على محمد وعلى ال محمد – مستوصف الرضوان
– ساحة الرضوان
– جامع الرضوان
الله يرحمك ياشيخ رضوان

زكريا الشافعى

الاسكندرية فى ٢١ يناير ٢٠١٧

(الشيخ)

كنا نقول احيانا انه " جاء مع المطر" ونضحك ... اي نعم فى شتواية من تلك الشتوايات التى هدمت الحيطان وقلعت البيبان!!!
. وقال بعض النسوة انه جاء مع فيض ماء النيل فى صيف الفيضان. قالتها النسوة وهن يخبزن العيش البتاو. وتعالت ضحكاتهن حتى نهرتهن الجدة " مريم" بعد ان اشبعتهن شتيمة، ضحكوا لها اشد من ضحكهم على كلمة سكينة أمرأة عبد الجواد .
حين اعيتنا كل السبل لتتذكر متى جاء" الشلبى " هذا الى بلدتنا كنا نضحك ونقول جاء مع المطر !!
." الشلبى " او الشيخ الشلبى. كان الرجل يقيم بجامع القرية وحين بنى عشتة بجواره وسع اهل البلدة له فيها حتى صارت بيتا – اصبح بيت الرجل لايخلو من بضع زوار يأتنسون بحديثة .حتى النساء وجدن سبيلا الية ، يسألنه فى بعض شؤونهن او كالعهد بهن يسالنه الدعاء. فالرجل قالوا انه " مبارك " وله كرامات !!!
.نعم قلن ذلك ....!
. اتسعت الدار حتى صارت اكبر من دار الحاج "رفيق"، الرجل الوحيد فى البلدة الذى حج الى بيت الله، بل قل ايضا الوحيد الذى عاش بعض ايام عمرة فى البندر، ياتى البلدة من حين لآخر . و بعد ان تزوج من زوجتة الثانية لم يعد يات كثيرا الى القرية :نجع اوس ".

– " نجع اوس " بلدة صغيرة فى اواسط صعيد مصر . القرية الصغيرة عالم بذاتة !!
. هى عالم فريد مستقل ويبدو ان الدنيا كلها حين تجاهلتة قرر ان يتجاهلها هو الاخر!
. حتى الاسم كان غريبا على الاذن ." نجع اوس ". لاتدرى اصل هذا الاسم . سقط الاسم من ذاكرة العربى والفرعونى وكل اللغات الذين مرت بمصر المحروسة ، نجع اوس يمكنك ان تدور على بيوتها فى دقائق .بلدة صغيرة محدودة المعالم . بسيطة فيها الحياة حتى تظن انها لاتنتمى لهذا العصر وانها من عصر مضى القرية هى متحفة وشاهده. لم يكن الاسم على اية خريطة اوحتى زمام ، بل كنا نتسائل احيانا ان كان احد من المسؤلين فى البندرالبعيد يعلم بوجودها اصلا .
، الناس فيها والزرع والبهائهم شركاء فى الحياة على هذه البقعة التى تنازع النيل الثائر والصحراء الفتية فى رسم حدودها . تطل باستحياء على النيل من جرف صخر رملى مازال يقف صامدا امام جبروت النيل فى قسوة فيضانة ؟
الحياة التى وفرتها قطعة الارض الوحيدة الصالحة للزراعة المحصورة بين ارض صخرية وعرة وبين هذه التبة العالية التى تطل على النيل والتى اوى اليها كل سكان هذا القرية .

لقد قرر الواقع ان تعمل عائلة " سوقى" بالصيد فهذه البضع مراكب الصغيرة الراقدة فى سكون فى الخوص اسفل التبة لولاد سوقى . يهبط عيال سوقى كل يومين من اعلى التبة ليجوبوا بقواربهم الصغيرة صفحة النيل بمحاذاة ضفتة وعند هذه الجزيرة الصغيرة التى

امتدت بطول القرية . الصيد على قدر الحاجة يكتفون بملء مقطف واحد او اثنين فهذا يكفى .
فى البلدة بضع عنزات لايمكنك ان تعرف لمن ولا من يطعمها ولاحتى من يحلب اثدائها كانها مشاع للكل وملك للجميع .
بقرة " يامنة" بنت " حسين المغربى" -الرجل الذى جاوز المئة عام- تحلبها مرتين فى اليوم توزع معظمة على جاراتها واقاربها. ترسل ود ولدها بدوى "هات ياواد من خالتك الكوز " ..... يطير الفتى بجلبابة القصير وقدمية العاريتين . يدلف الى الدار من الباب الذى لايغلق الا ليلا .....
– جاموسة الخالة " فاطمة " كانت مريضة الاسبوع الماضى. الجدة " مريم "بخرتها وقرأت عليها التعويذة ...."ياعين ياعينية.... ياخاينة ياردية.... اطلعى بقولة لاالة الا الله " الجدة مريم بركة..... تعزيمتها فيها الشفاء !!!!.....

زيجة "عثمان" ود " الدبودى" على " فتحية" بنت عمة بعد الموسم الجاى موسم عاشوراء .... .
باقى عشر ايام. مر وقت طويل منذ اخر جوازة فى البلد.. الناس كلها تنتظر هذا اليوم. سيأتى الشيخ "محمود " الازهرى من اسيوط ليقرا القران بالنهار فى الساحة فى قلب القرية.
يذكر الناس الشيخ محمود صوت رائع كان اهل البلدة يطربون ايما اطراب . كانوا على بساطتهم يدركون جلال وعظم الايات.
وقف "المجدوب " -لايقولون عنة مجنون- فى وسط الناس وصاح " الله .... الله.... ياشيخ محمود... الف الف ولى... على جبل قاف يسمعك " . صاح اخر صلوا على النبى ، فهمهم بها الجميع " اللهم صل وسلم وبارك علية" .وصمت الناس . سيأكل الناس من لحم شاب الجاموس التى اشتراها ابو العريس وفى الليل سيسهر الشباب يغنون ويمرحون.

الواد ود "محمود النحيلى" صوته جميل. حلوة هى الاغنيات اللى غناها فى سهراية فرح" شهاب" ود صالح .الطبلة والكف كانت كل موسيقاهم ..... " ياابيض حل اللتمة.. خليت الدنيا عتمة... وقلة عينو شتمة وزغلل عينيا "..... يجاوبه الشباب بحماس وهم يدقون على اكفهم ...." دهبواا دهبوا زغلل عينيا " . وزغرودة طوييييلة تحيى هذا المقطع هى زغرودة " ام لوفا" يعرفها الجميع تثير الزغاريد حمية الغناء وتلتهب الاكف مع ترديد " دهبواا دهبوا ... زغلل عينيا دهبوا " .

قبل فرحة اهل البلد بود الدبودى كانت فرحتهم باتمام انشاء الجامع الجديد جعلوا له سقفا ودهنوا حوائطة بالجير الابيض

قام الشلبى فى الناس خطيبا فاثنى وحمد وعظم وشكر وكبر وهلل. اصبح مسجد القرية هو اجمل بناء تقع علية العين وفى بلدة كهذه ليس فيها جديد فقد صار بناء المسجد وفرح ود الدبودى هو مثار كل حديث وهو حديث لايخلو من تكرار وقيل وقال.
– قال الواد ود "محمود ابوحسين" وهو يغمز بعينة ويبتسم بخبث "الشيخ الشلبى هاص اكل وزفر فى ايام بناية الجامع" !
تندروا على القفطان الجديد كان ضيقا يبين منه كرش كبير ...الفروجة التى بعتتهالة "ام لوفا" علم بها كل من بالقرية ...نهرهم الخال " " ضوى "النجار الوحيد فى القرية حتى انه رفع العصا فى وجوههم فطار بعضهم الى بيتة ووقف يصيح "ده بركتنا راجل عالم وعارف كلام ربنا ... اخص عليكم ياولاد الابالسة... يابن المركوب منك لية قوم ياواد منك لية ....."

حين اخلتف عثمان ود الدميرى مع ود عمة سليم ونسيبة فى نفس الوقت راحوا للشلبى الذى اصبح الجامع داره..... وحين اقسم ابوالحجاج على زوجتة التحفت فى عبائتها السوداء الثقيلة المصنوعة من صوف الماشية الخشن واخذت امها وراحت للشلبى ! . حكم الرجل....! اصبحت حراما على زوجها .صرخت مرت ابوالحجاج.... لطمت خديها.. ووضعت التراب على راسها !!!

لم يستطع صالح الديوانى ان يمنع ولدة الذى حمل عصاة الغليظة وانفلت من بين يدية وهو يصرخ والله لاضربة وطار فى دروب البلده الضيقة سقط الرجل الكبير على باب الدار وهو يصيح بصوت يائس " ياواد ده ود عمك " الحقوه ليقتل ود عمة .... الحقوة ياناس ..يامسلمين".

صار لزوجة " ابوشهاب" اربع ليالى وهى حردانة فى بيت ابوها. كيف يضربها زوجها.
حلف ابوها لن تخرج من دارة الا " اما ييجى... ويبوس راس كل اللى فى الدار. بنت ابوسليم ماتتضربش"
– قال الشيخ "ربنا بيقول فى كتابة واضربوهن..." استمعوا للشيخ وهو يقول الاية ولم ينطق احد بكلمة حين قال "الشلبى" انه لايرى بأسا فقد ضرب .... لاندرى من... وهو احد ائمة..... كذا لانذكر ... وحين اتبعة اسمة برضى الله عنة. وجم الناس ثم قاموا من عندة كاشباح الظهيرة !!!
فى هذه الليلة وماتلاها سهرت مصابيح حزينة فى عدة دور فى البلدة الطيبة !!.فقد ضرب عبد الجواد امرأتة .
علم الجميع بذلك فالحيط فى الحيط وضرب ود "حليمة الدبودية" مرتة القديمة اما ود "الجميلى" فقد صرخت امراته حتى وافاها جيرانها فى صحن الدار وافلتوها من يده " وحين لامته اختة صاح فى وجهها :" تستاهل الضرب والااكسر راسها....ربنا قال... واضربوهن ... اهه " " اهه !!! ربنا قال كده

تلمس الشلبى ذات يوم خطاة الى بيت الرزايقة جنوب البلد .الشيخ راح... الشيخ جاء.. ..... بعد يومين جاء جمل محمل بحصير جديد لفرش المسجد.
الرزايقة ؟ وفرش المسجد !!
عائلة الرزايقة تسكن بعيدا عن البلدة .بعض حديث الناس عنهم دوما يكون همسا . معهم الاموال لايدرى احد لهم تجارة اوعمل يتكسبون منه . يقال انهم يستاجرونهم للاخذ بالثأر.
كانهم اختاروا ان يكونوا خارج البلدة .وجم الناس حين علموا ان حصير المسجد من مال الرزايقة .كيف ياشيخ شلبى ؟ قال الرجل كلاما لم يبد ان احدا فهمه تماما . ولكن كان فية "قال الله... وكان فية" قال الرسول" ....فانصرف الناس فى حيرة وحين صلوا الجمعة على الحصير الجديد ، مسح ابوسليم على الحصير بيده ، ثم ندت من شفتية صوت مصمصة " هيييية حصير تمام !!"
.....
تأجل العرس.
فشل الصلح بين ناس " سليم" وعيلة "عبد ربه" حكم الشلبى بقلمين على الوجه لود " ابو سليم" قصاد قلم ود "عبد ربة" الذى لفحة
اياة فى السوق قدام الناس .ثار ود "عبد ربة" رفض وسب وشتم.... وصفة الشلبى بالمارق ... وأوجب علية الحد!!!!
.كاد الناس يقتتلون..... ارتفعت العصى..... ولولا صراخ فى غرب البلد هرع الناس الية لسالت الدماء!!!!
. دار فى غرب البلدة تحترق !!!
.وقفت عيلة "عبد ربة" وقد انصرف الناس عنها تطفى النار التى اشتعلت فى احدى دورها وفى اليوم التالى كانت النار قد امسكت فى برج حمام فى دار" صالح ابو سليم" صرخت امراة "عملوها ناس عبد ربة...!"
.....
لاول مرة منذ سنين طويلة لاينعقد السوق يوم الاثنين كما اعتاد الناس.!
حتى حين اقتحمت مياة السيل القرية ذات مرة اقام الناس السوق غرب البلد بدل الساحة .اشترى احد الرزايقة دارا بجوار دار الشيخ الشلبى .اشترى دار "حماد المرزوقى" الذى رحل الى اسيوط وترك البلدة !!!
."حسين" ايضا .. ساب دارة وراح نجع القادوسية عند اهل مرتة. بقرة يامنة تنعق، اللبن فى ضرعها لم يحلب قالت بحسرة : " لمين اودية ماقدرش ابعت الواد فى حتة !".
راحوا للشيخ " ياشيخ شلبى.....! " رمقهم بنظرة غاضبة وعزبل ... وحوقل.... ثم ضم علية جلبابة واسرع للمسجد ...!
.دروب القرية خالية ، اغلق الناس دروهم، حتى العنزات السارحات فى دروب القرية اختفين . حين اذن الشلبى لصلاة الظهر كانت ريح ساخنة قادمة من الصحراء تسفع

الشوارع وتعوى على الابواب، تسلل التراب الى الحلوق .
فى هذا اليوم حين كان الشلبى يتغذى فى دار الرزايقة الملاصقة لدارة ، دوت طلقة مزقت انين الريح المريب .
سقط عثمان ود الدبودى زينة شباب نجع اوس بعد ان تاجل عرسة مرتين !!!!
.

زكريا

الاسكندرية فى ٢٠١٤/١٢/٩

نظر اليها مليا فى صمت جليل وهى ترتشف فنجان القهوة على وقع اغنية شهيرة لفيروز –

" شط اسكندريه ياشط الهوى .. رحنا اسكندرية رمانا الهوى ....

هم ان يسالها سؤالا :لكنه اثر الصمت ..

جمع المكان والزمان بينهما كاشياء اخرى كثيره جمعت بينهما كانت تبدو بعيدة التصديق

انه الان يجلس الى جوارها . جمعتهما منذ قليل طاولة غذاء وحوار شيق ممتع تجعله هى بحلو حديثها ونبره صوتها الملائكية حضورا ملكيا بهيا . للطعام لذه لم يعرفها من قبل ولنسمات الهواء الطلق حضور لم يعهده فى جنبات الاماكن وفى سماوات المدينة .

العيون السمرا الوسيعة الباسمة الوديعة . الوجه الصبوح الاسمر المتقد بحمره وحرارة الجنوب . الشفاه الزاعقة شوقا وانتظارا فى فم تتلالا اسنانه بياضا . فى هذا الثوب الهادىء الذى تعانق فيه الرداء الوطنى لبلدها مع موضة غربية صنعت هذا المزيج الفريد الى تميزت به دوما هذا العقد الفريد بحباته الفيروزية المنتهى عند اسفل صدر مكتنز ثائر بحبة جعران فرعونى وخرطوشة عليها كتابة مثبته به على نحو ما ... تبسمت حين رات عيناه مثبته على العفد .عاد بالذاكرة غاص فى سنوات بعيده راكده ساكنة فى اعماقة .. لقد كان ذكرى جولة فى احياء الاسكندرية القديمة اعجبها قالت ان ملوك الفراعنة اعتادوا ان يضعوا نقشا اساميهم داخل خرطوش كهذا .. حين اكملوا جولتهم فى السوق كان قد عاد الى المكان مره اخرى ليستلم واحد مثله من الجواهرجى وعليه نقش اسمها بالهيروغليفية ... حينها كادت تقبله حين لم تجد كلاما ولاردا على دهشتها متى وكيف !

مروا على بيت كفافى (قسطنطين كفافيس) درسوا قصائده كفافى الشاعر اليونانى الذى عشق الاسكندرية قال يصف محبوبته الاسكندرية

فلتصغ، تلك هي بهجتك الأخيرة إلى الأصوات،
آلات الفرقة السرية المدهشة
وقل دائما، وداعا للإسكندرية التي أنت فاقدها

فى يوم تتسكع فيه برودة مارس فى جسد المدينة المطلة على البحر وتتردد سحابات لم تضع بعد حملها فتمطر حينا وتقطر حينا . يوم كهذا جمعهما ... مشيا سويا فى شوارع

المدينة يتحديان بقلبين دافئين بروده مارس المتشبثة فى شوارع المدينة وميادينها .. صقيع عصر يوم حجبت السحب شمس يومه . فى شارع فرنسا امتد عبق التاريخ عبر دكاكينه وشوارعة الجانبية ومبانية العتيقة التى بقيت تحكى الامس الذى ذهب وبقى شاهدا على الف الف حكاية يحكيها بلا لسان ولاصوت .

. فى المنشية القديمة حكى لها حكاية عن طفولتة الاولى امسكت ضحكتها بيدها واكتفت بضحكات عيونها . فى زحام سوق راتب وزنقة الستات وشارع سعد زغلول ..... كيف سارا كل هذا الطريق كل هذا المشوار .يتذكر امثال جدته " من خفت راسه تعبت رجلية " ... يضحك فى سره وهو يضيف تعديلا للمثل ... نعم كان هو مرشدها لكنها كانت تسير بجواره قدما بقدم ويد دافئة بيد وعينان تتقدان حبا . شربا القهوة فى سفيانوبولو وشاهدا تمثال محمد على القريب اقترب مصور بكاميرته .
- " صورة يابية انت والمدام " . ضحكا سويا واسرعا ليعبرا الشارع .
توقف شريط الذكريات لحظة ...

مارس ايضا ! اهى الصدفة ؟ هذه الكافيتريا المطلة على البحر تكاد تتذوق ملح البحر على طرف لسانه . الزجاج المحكم وقف بالمرصاد لهواء بارد يقتحم المدينة من ناحية البحر . كان الصمت عند رشفات القهوة اجمل وابلغ من كل كلام . نظر الى كوب الماء الموضوع على المنضدة امامه وتبسم وتبسمت هى ايضا ! مدت يدها وشربت من الكوب .. مد يده وشرب كل ماتبقى من كوبها !

نظرت الى ساعتها كانما تنبهه ان الوقت قد حان !!
فى سيارتة قاد بها الى مكان اقامتها ...

خمسة عشر عاما مرت ، جمعتها الدراسة فى جامعة المدينة المفعمة حركة وتاريخا . كان الاسكندرية مدينتة ومسقط راسه .طفولتة , ومرتع شبابه .فهو السكندرى الذى يعرف مدينتة شبرا شبرا . وهو زعيم الشلة وقائد صولاتها وجولاتها . معروف للجميع حتى طلبة السنوات الاقدم .كان له هذا الحضور الشجى والكاريزما التى تجعله قريب اليك .كان يملك هذه العفوية السهلة والتلقائية البسيطة ها الحضور الغير متكلف الذى يجعله فى لحظات يدلف الى دواخل من يعرفه ويتحدث اليه . وكانت هى وافدة من احدى الدول العربية الشقيقة فى عينيها سحر القارة السمراء . دفئها ، وحراراتها ولهيب ثورانها . شعلة نشاط وبركان افكار تكتب الشعر والمقال فى مجلة الجامعة وتحضر النقاشات وتشارك فيها . تشعل النقاشات وتبهر الحضور بفصاحتها وقوة بيانها .وكانت الوحيدة التى احتفظ لها فى

قلبه بهذا الاعجاب الخفى والود الحقيقى . كان يمكنه ان يكون مرحا جريئا متحررا امام الجميع الاهى . فقد كان بريق هذا النجم المتوهج يخفت فى وجودها ويستكين ،تاسره هذه العينان وهذا الصوت الاسر القوى . انه صوتها الذى يجعله فى حضرة ملكة ذات هيبة وجلال .جادلته نفسه فجادلها.... وحاوره عقلة فغلبه.... وقاوم قلبه لكن قلبه انتصر ... ادرك انه يحبها .... شعور يدهسك ويدهشك .... ياسرك ليملكك ويستاثر بك ... لايترك لك فرصة ولا مجال للهرب .... لايبنى حولك اسوار عالية او اشواكا قاتلة ... فقط ياسرك ، ويحبسك ويعتقلك فيك ... لم يسبق ان احس بهذا الشعور من قبل ... . وآه من القلوب الخالية " .. ياللعجب !! لقد حافظ فى علاقتة مع جميع الفتيات فى الجامعة على المسافة التى تجعله دوما الزميل والصديق فقط لااكثر .نعم كان يحرص فى داخلة على ها التوازن العجيب .قريب من الجميع حبيب الى الكل يدخل الى اعماق اصدقائة بهذه السلاسة والبساطة والعفوية فلايشعرون فى حديثهم اليه الا بهذا الشعور الاليف ! الزميل والصديق لااكثر ولااقل ! الا هى ...

شيئا لم يقو على التخلص منه ، يتسلل الى دواخله ويوجد له مكانا ليس فيه احد غيره .

ادرك فى قراره نفسه انه سقط فى بحر العسل ! وعلمت انه يحبها ....

وعاشا هذا الحب شبابا متدفقا ومشاعرا غضة ،نقية ، فياضه . كانت شاعرة تجيد الشعر حقا تتبختر فى عباءته المخملية تنشر القصيدة على الحائط كما كانوا يسمونه وكان يمكنه ان يخط بضع ابيات ...ان يكتب شيئا ما .. شيئا يقول بوضوح انه فى حالة عشق !!
فى احدى حفلات الاسر الطلابية وعلى وقع جيتار صديق دندنت بكلمات قالها ...
ردد الجميع معها الكوبلية :
من زمااااااان ... من زماااان . قبل الاوان ..
(جبل الاوان) بلهجتها ...

كانت هى ربة الفصاحة والحضور الجميل والصوت الاسر .كانت تناديه دوما بهذه الكلمة الاثيره الى قلبه

" لورد " "

تساله ."كيفك جناب اللورد؟ ! .فيرد دوما ضاحكا ... " نعم "ياساحرة الجنوب "..

لم يسالها لماذا لورد .... ولم تساله ابدا لماذا ساحرة الجنوب ..

نعم عاشا هذا الحلم الجميل وعرف انها قدره وانه قدرها وخططا لكل شىء . رسما الاحلام سويا ..... حين تنتهى من دراستها ستعود لتعمل فى سفارة بلادها وستعيش فى مصر ويتزوجها .

.....

حين انتهت الدراسة فى السنة الاخيرة عادت لتعمل فى سفرة بلادها ...عاشا الحلم الجميل الذى ظل يداعب خيالهما اواقعا اجمل واحلى عمل بكل طاقتة لتكون له وانتظرت بكل حنينها لتكون له ....

فى اجازة رحلت لبلدها ... ترقب عودتها طال الانتظار ،غابت وانقطعت السبل والاخبار والطرق !! مر عام وتبعه اعوام . وجد عملا افضل يدر عليه ربحا . سافر للخارج ومرت سنوات .... تزوج ... وصار عنده ولاد .. وتزوجت هى ايضا ....

وغنت فيروز : " كيفك انت !! .. قال بيقولوا صار عندك ولاد .. " .

اشتعلت ثورة فى بلدها .تغيرت الاوضاع .... اصبحت مسئولة ... تقلدت منصبا رفيعا ... وجائت مصر هذه المرة سفيرة لبلدها . خمسة ايام فقط هى مدة الزيارة .وقررت .. .

يوما واحدة اقتنصته الوزيرة لنفسها تحررت من اثقال الوظيفة من عبء الديبلوماسية . طار بها الليموزين للاسكندرية اليوم كله لهما . والتقت به كانت دوما تستطيع ان تجده ووجدته . طارت اليه ولقيها ...
كل تلك الاماكن التى عاشتها طافت بها نزلت من السيارة تلمست سور الجامعة ورصيف الميناء وبكت فرحا وسعادة عند كل ميدان وشارع خطت فيه خطواتها الفتية وعاد بها السائق فى صمت الى غرفتها فى الفندق المطل على البحر. صمت لم يقطعه الا نهنهات وبكاء مكتوم .
بعد انقضاء زحام الظهيرة وحين اوى اخر العائدين من اعمالهم الى بيوتهم يلتمسون دفء البيوت وحنين الزوجات وانتظار الابناء يحتمون بمساء يرخى استاره على المدينة مبكرا كعادتة فى مثل هذا الوقت من السنة كان قد خرج للقاءها ....

يقولون ان المراة يقودها قلبها .... نعم ... قلبها ... فلولا قلبها لما امكنها ان تتخطى كل هذه الحواجز الديبلوماسية وقواعد البروتوكول ....القلب اقوى من السياسة ومن كل شى ..انها امام قوة امره مسيطرة . انها القوة التى كانت ترسم حياتها ووجودها منذ خمسة عشر عاما .

كان السؤال الحائر يتنظر فى عينية ..انتظار لم تفلح كل محاولاته على ان تجد اجابة له طوال سنوات . انتظار عبث بكل شىء يتنفس حياه فية . انتظار جعلة خارج دائرة الحياة وبعيدا ايضا عمن فارقوها لاعايش ولاميت ... انتظار فقد فيه قلبه وتركة هناك على ابواب سفارة بلادها حين راح يسال فقالوا له : - -

- لاتتعب نفسك .

رمقوه بنظرة من ينصحة بالابتعاد عن المشاكل !! نطق الرجل بكلمة واحده فقط وهو يتظاهر بانه يفعل شيئا ما : " سياسة " ..

التقاها فى ذات المكان الى جمعهما لاول مرة ....

مر فى طريقة بهذا المكان عند التمثال الابيض الشهير باعمدته البيضاء المشرعة الطويلة على البحر عند المكان المعروف باسم السلسلة . خفف السرعة .. تركوا الاشرعة البيضاء للتمثال ترحل خلفهم . مر بالسيارة تباعدت المسافات .. غادر طريق البحر ليقطع شارع سوتر .. سور الجامعة ... دمعة لم تستطع ان تمسكها .. صمت علا على صوت محرك السيارة وقطرات مطر خفيف قررت به السماء ان تودعهما فى لقاء لعله الاخير .

عند مدخل عمارة فاخرة توقف ... حاول ان يقول شيئا ..... كل الكلمات تاهت على شفتيه .....حتى كلمة "اشوف وشك بخير!" او مع السلامة . فقط نظر اليها ونظرت اليه ثم غادرت ...

عاد بالسيارة الى الطريق الطويل الخالى من المارة فى هذه الساعة .... طريق طويل الى منزلة فى الجانب الاخر من المدينة .. صامتا . صوت محرك سيارته يبكى انينا وزخات المطر التى تساقطت على نافذة السيارة امامه تشرف على ليل الشواراع دموع فراق لايدرى هل يجمعه لقاء بعده .

حين وصل الى بيته كانت تمطر بغزارة فى حين هبت ريح باردة عصفت فاسقطت شيئا ثقيلا احدث صوتا وجد مكان سيارته قد اصبح مشغولا . وجد مكانا لسيارته فى شارع جانبى . اغلق سيارته وخرج سائرا فى منتصف الطريق الى بيته يستقبل هطول المطر بكل حواسه ... امام السلم الصاعد والاسانسير وقف صامتا للحظات .اعلن الاسانسير عن وصوله ... لكنه اختار السلم ! راح يصعد كل هذا الدرج حتى الدور السابع .

قطع كل هذه الدرجات الى الدور السابع حتى وجد نفسه امام باب شقته .

.بلم يكد يضع المفتاح فى باب الشقة حتى سمع صيحات ولدية كريم وسعيد . واندفع الاولاد نحوه .

- هيييييي بابا جه ... بابا جه هيييييه !
- نظر الى زوجته
- مساء الخير !.... ايه اللى مصحيكم لدلوقتى ؟ !

الولاد مستنيينك ننعشى سوا !!! على ماتاخد دش دافىء اكون جهزت السفرة !!

انها الحادية عشرة ليلا ! لم يجد جوابا !!

- ناولته الفوطة وهى تساله : اية اللى اخرك ؟
- سكت قليلا وتفادى عينيها المتفحصتين ثم قال وهو ياخد نفسا عميقا ملء به صدره
- لا .... ولاحاجة .. كنت باراجع شوية حسابات ! .

زكريا الشافعى

الاسكندرية فى سبتمبر ٢٠١٩

لا احد يتذكر على وجه اليقين ما حدث بالضبط وكيف بدات هذه القصة . بل قل هذا الشجار .الذى ادعى ان فية قصة ما .
من الذى بدا الشجار ؟ لا احد يعرف

ان سعد الميكانيكى ليس موجودا ليروى لنا ماحدث . او قل ليرويها على الاقل من جانبة .

ولا حتى الاستاذ مصطفى فالاول فى المستشفى فى حالة خطرة والاخر ترك شقتة وذهب ليعيش عند اهل زوجتة خارج المدينة .

لم يعد هناك احد يمكنة ان يروى ماحدث لاننا يجب ان نعود الى الوراء ، نعتصر الذاكرة .. لكن لعل هذا هو ماحدث بالفعل لا ادرى ...!
فى احد هذه الايام الشديدة الحر من ايام يونية، كان الاستاذ مصطفى يلتقط انفاسه بصعوبة ، وهو يكاد يختنق غيظا بعد ان اجتاز كل هذه المسافة وهذا الزحام ،الذى اصبح سمة للمدينة من مقر عملة فى المدرسة الثانوية الى بيتة فى سيدى بشر. لم يجد مكانا يركن فية سيارتة الصغيرة فتوقف فى منتصف الشارع وراح يجول بعينة ثم يعود الى حيث بدأ . ليس هنا مكان يضع فية سيارته – كانت هناك سيارة اخرى قد احتلت المكان الذى اعتاد ان يضع فية سيارتة المتواضعة. قد تكون هذه هى البداية . نعم
كان " سعد الميكانيكى " , قد خرج لتوه من تحت احدى السيارات التى يعمل على اصلاحها ومازال المفتاح الحديدى فى يده وراح يشير للاستاذ مصطفى ان يخلى الشارع للسيارات فهذا يعطل عملة – فى حين ان الاستاذ مصطفى راى انه يشير الية بان يركن صف ثان – لكن الذى حدث ان الامر تطور الى مشاجرة وتبادل الاثنان الشتائم والسباب .
ولما لم يتدخل احد من الناس ليمنع هذا الشجار اكتفى الطرفان بالسباب والشتائم والتهديد والوعيد ! .
،و حين اطلت عدة رؤوس من الشرفات والنوافذ لتعرف مايحدث عادت الى الداخل سريعا بلا اهتمام ..وماعدا ذلك فان شيئا اخر لم يحدث !!
ولما استيقظ الناس فى صباح احد الايام وجدوا ماسورة حديدية مثبتة فى االارض كان الاستاذ مصطفى قد قضى جزء من الليل وهو يثبتها فى الاسفلت ليضمن لنفسة هذا المكان فلايتكرر معه ماحدث بالامس القريب .
وماهى الا ايام قلائل.... حتى كانت الاعمدة الحديدية ...وبلوكات الطوب الكبيرة قد ملئت شارع السويفى .

كل صاحب سيارة اومتجر اودكان يريد ان يحجز مكانا لة امام بيته ...

و تفاقم الامر حين تشاجر احد اصحاب البيوت مع رجل يضع سيارتة امام بيته وهو يسكن فى الشارع المجاور .. ! وهكذا اصبح الامر حديث الليل والنهار لا يكاد يمر يوم الا وتسمع هذا الشجار .

فرض الميكانيكى كلمتة على مساحة كبيرة فلم يعد احد يجرؤ على ان يضع سيارتة او اى شىء فى هذا المكان.

امتلا الشارع بسيارات سعد .خمس اوست سيارات استاثرت بالاماكن وانتشر صبيان سعد يعملون على هذا السيارت...

سكت الناس على مضض.... سكتوا تجنبا لسلاطة لسانة.... سكتوا خوفا .

جلس الميكانيكى فى عرض الطريق وفى اى مكان يحلو له يدخن الشيشة ويامر صبية هذا ان يفعل كذا .....ويعلو صوتة بالسباب على اخر..... ويلعن سنسفيل الشارع والمنطقة . لم يرد علية احد .

هذه المراة التى تبيع الجبن..... تاتى من بعيد فى طلعة كل صبح تقضى النهار امام طست ملىء بالجبن واشياء اخرى .....فرض عليها الميكانيكى ان تدفع له .....لايمكنها ان تجلس دون ان تدفع..... انها تجلس على ارضة وتفترش رصيفة انها تحتمى به.... دفعت المرأة. وجاء "استيكة" هذا هو اسمه – خرج لتوه من عامين حبس سرقة بالاكراة – جلس على المقهى فى اول الشارع.... طالت جلستة.... وجد له سببا ليعود المرة بعد المرة ..... وضع كرسية فى اول الشارع .....ونافس الميكانيكى فى السيطرة على ماسموه جراجا... راح يتقاضى اجرا عن حراسة احدى السيارات الخاصة بالحاج سيد التاجر. فقد اوصاه الرجل على سيارتة .وضع فى يده ورقة من فئة المئة –احتسبها الرجل الطيب صدقة - ومن هنا بدا الامر .....

حين ذهبت "ام طارق" التى تسكن فى الدور الارضى فى بيت الخواجة الواقع قبيل نهاية الشارع الى نقطة الشرطة لتقدم الشكوى بعد ان سرقت شقتها المتواضعة ، نهرها الضابط النوبتجى

–هو احنا ناقصين – راديو اية وتسجيل اية ؟؟

افسحت المجال للرجل الواقف بجوارها وعاد ليكمل كلامة مع الضابط النوبتجى
- تسلم لنا سعادتك . ومال علية ليدس فى يده بضع ورقات كبيرة
- شوف ياباشا كده المحضر تمام .. وكله سليم
خرجت المراة وهى تتمتم مفيش غيره ابن الحرام هوه استيكة !....هو اللى عملها يارب انت شايف ومطلع .وماان ابتعدت عن القسم حتى راحت تلعن كل شى الشاويش .... و الحكومة .. والشارع ... والنخوة " اللى راحت " .....

دوت صرخة فى منتصف الليل فى الشارع "ياعالم ياهوووووووو الدكان بيولع "
كان دكان الميكانيكى يشتعل . اطلت عدة رؤوس من الشبابيك والبلكونات . مرت سيارة فى الشارع ، توقف السائق .اسرع باخراج طفاية الحريق. راح يطفى النيران .كانت النيران اكبر من امكانيات طفايتة الصغيرة .اسرع الرجل ينادى فى الناس
- " طفايات ياناس " .

اطلت عدة رؤوس اخرى من الشبابيك والبلكونات... لم يستجب احد
.جاء سعد الميكانيكى يجرى حافي القدمين . والقى بنفسة فى اتون النيران واقتحم الدكان المشتعل فى جرأة
_لم يستطع احد ان يمنعة راح يصرخ فى هستيرية مفزعة لأأ لأأأأأأأأأأأأأأأأأأأأأأأأأأأأ "
الرجل يكاد يقتل نفسة شىء ما ثمين يخشى علية من النيران التى امسكت بتلابيبة وهو يصرخ "الفلوووووس ....."
امسك به الرجل وهو يتقلب فى النار المشتعلة فى ثيابة القى علية غطاء السيارة فسقط على الارض .

نقلت سيارة الاسعاف بعد مرور وقت رجلا بين الحياة والموت .
فى البلكونات والشرفات المتقاربة تحاورت امرأتان
- ياحول الله يارب ؟ لية كده بس ؟
- مش معقولة يااختى !! ... الدكان ولع كده من نفسة دا ....
ياختى مش بعيد يكون المخفى ده..... وهى تخفض صوتها وتشير للمكان.

فى صباح اليوم التالى كان استيكة يجلس على كرسية على مدخل الشارع ... وهو يرقب بعينية الداخل والخارج ....سيجارتة المشتعلة بين اصابعة ... وهو يحتشى كوب الشاى الكبير . مر به رجل فسلم علية ولم يقم من كرسية، اعطاه الرجل مبلغا من المال .

نظر الية شذرا – " الكلام ده مينفعشى.... يااستاذ من الشهر الجاى ٢٥٠ ياتسيب المكان لغيرك ....."

حين ذهب الرجل لقسم الشرطة ليشتكى -
صاح الضابط النوبتجى فى وجهة - يعنى احنا فاضيين بقة..... عربيات اية؟

خرج الرجل من قسم الشرطة وهو ينعل سنسفيل كل شى.. لحق به رجل كان بجوارة .قال بصوت حرص ان لايسمعة احد غيرة
- يااستاذ يعنى انت مش فاهم ..!
-مش فاهم اية ؟ !!
وماان ابتعد عن القسم حتى راح يلعن كل شى الشاويش .... و الحكومة .. والشارع ... والنخوة " اللى راحت " .....

- حين تشاجر استيكة مع الرجل فى المرة الثانية لم يجد الرجل مكانا لسيارتة . خرج من الشارع بسيارتة ليركنها بعيدا عند المحطة . ليجد بعد يومين فقط ان شنطة السيارة قد كسرت وان اللص قد سرق الاطار الاحتياطى الذى كان الاستاذ قد وضعة فى الشنطة وربطة من الداخل بسلسلة حديدية !!!! الى جانب عدة اشياء اخرى .....!

بعد يومين كانت سيارة تحمل اربعة رجال قد هبطوا فجاة منها لينهالوا على استيكة بالعصى . علقة موت .... لكنها لاتكسر عظم ولاتجرح لحم ليخبروه قبل ان يتركوه يغشى علية .... ان هذا "ادب له" .. وانها رسالة كان يجب ان تصل له.

حين سرقت فيلا اللواء فى اولى الشارع اقتيد استيكة الى قسم الشرطة جائتة عربتان بوكس تحملان اربعة عشر رجل شرطة انتزعوة من سريرة وهو يئن من علقة الامس القريب التى اقعدتة فى البيت .

كان المحضر جاهزا – المسروقات - حين صرخ استيكة
والله العظيم ياباشا مش انا .....
عاجلة امين الشرطة بصفعة رنت فى انحاء الغرفة الواسعة
اسكت يابن الكلب اومال مين احنا عارفين كل حاجة ؟

عاد استيكة الى السجن ..

.....

مر اسبوع ..

اتصل رجل بشرطة النجدة الحقونا
-ايوه يافندم اتفضل
-الدنيا مولعة ياباشا - عركة كبيرة جدا وفيها ضرب نار وفية ناس مصابة
-ايوه – لحظة واحدة مرت دقيقتين
-الو ايوة اوكية اتفضل – اية الموضوع ؟
ياباشا الدنيا مولعة .. الناس حتموت بعض

- لحظة واحدة - الاسم ورقم البطاقة
- .....
- اييوة – سعيد محمد على ... اية ؟ كمل الاسم
- .....
ستة ولاتسعة – معلش من تانى
- .....
(صوت طلقات نار)
- لا العنوان اللى فى البطاقة
- .....

طلقات نار وصرخات نساء وصوت ارتطام جسد بالارض
_ الو ... الو ..... الو ..... الو ..... الو.....

زكريا الشافعى

–الاسكندرية فى ٨- ٣- ٢٠١٦

.

اقترب منى وانا مستغرق فى عملى حتى اننى لم انتبة اليه حين دخل المكتب .كان مكتبنا هو هذة الغرفة الفسيحة التى تتسع لنصف موظفى الشركة . وجدته امامى مباشرة وهمس فى اذنى انه يريد ان يبوح لى بسر .... وراح يتلفت يمينا ويسارا كانما يحرص على الا يعرف احد. لايعرف احد حتى مجرد انه سيخصنى بهذا السر. وبدافع الاهتمام توقفت عن العمل ونحيت الشاى جانبا ليتسنى لى تلقى هذا السر ! لقد اثار فضولى حقا !!!.

اقترب منى اكثر حتى كادت رأسة تلامس رأسى ورحت اتطلع لوجهة الذى حمل كل التعابير التى لايمكن وصفها فى كلمات قليلة . بل لعلى اضيف الى الفضول ايضا القلق . فانا لم اعرف الرجل الا منذ فترة قريبة ! نعم معرفتى به ليست قوية الى هذه الدرجة واول ماطاف بذهنى انه بلاشك شيئ ما يتعلق بالعمل وبى . جذب الرجل كرسيا من احد الاركان وجلس امامى مباشرة .

- هة .. خيرا!؟

من قليل المعرفة به ولما كانت احدى هواياتى سبر غور الناس ومعرفة شخصياتهم وتحليلها فقد كان زملينا هذا هو احد الشخصيات التى تدهشك الايام بوجوده على خريطة البشر . فقد كان يستطيع بروحة المرحة ان يضفى جوا من البهجة على المكان كلما تسنى له الوجود بيننا كما كان يدهشك انه صاحب مقولة ورأى فى كل حوار وكانت بعض ارائة من اعجب واغرب مايكون ! كان يمكنه ان يشارك فى اى وفى كل نقاش ....من اول انسداد بلاعات المصلحة ....الى تاثير التجارب النووية على تغير محور الارض واثر ذلك على مناخات دول جنوب شرق اسيا !!!!.

راح مرة اخرى يتاكد ان لااحد يسترق السمع وليس ثمة احد قريب كفاية ليسمع مانقول... وحين هم بالحديث كادت جبهتة تلامس جبهتى وراسة يلامس راسى

والحقيقة انى كنت ومازلت فى حيرة من امرى ولاادرى السبب الذى جعلة يخصنى بهذا السر.! فلم اكن من اقرب الناس الية كغيرى ،بل لم تك حتى تربطنا علاقة وثيقة الى ذلك الحد . الا ان الرجل وكانما ادرك مدى دهشتى . بادرنى بقولة " اصل انا عرفت انك بتكتب قصص !!"

- قلت فى سرى ،هى قصة اذا !! لكنه وكانما يقرا افكارى بادرنى بقولة " لا ليست قصة " !!!!!

لقد اثار فضولى حقا . انه سر فالسر ليس قصة او حكاية ؟! لا لا لابد انه امر هام -

-- هة فلنسمع !

التفت للمرة الاخيرة قبل ان يلقى الى بسرة

_ انا عندى قوة خارقة !!

ولما كنت شخصا يحسن الاستماع بل لعلها طبيعتى التى ربما جعلتة يبوح بسرة لشخص يجيد الاستماع فقد ..صمت تماما لاترك له الفرصة كاملة ليكمل هذه الجملة المبتورة قوة خارقة ..... ماذا !!

رحت ببصرى اطوف بهذا الوجه التمس كل خلجة وثنية واتبين الحقيقة فى هاتين العينين وطاف بذهنى الف صورة وفكرة فى لمح البصر وانا احدق فى عينية اللتان بدتا فى جدية لاشك فيها . ياللهول ! ورأيت هذا النظرة الجادة وتذكرت ان الرجل انما اختارنى ليبوح لى بالسر ثم ماادرانى!!
والواقع الذى لايمكن تكذيبة حكمة سمعتها من جدتى قديما " يوضع سرة فى اضعف خلقة"
رحت اعمل ذهنى الذى فاجاتة الكلمة وانظر فى وجه الرجل ثم اتذكر المرات التى رايته فيها واتذكر شىء يميزة عن الناس ويفوق به عن من اعرف منهم فلم اجد!!!! . فاثار اهتمامى فملت علية براسى وبنفس النبرة التى خاطبنى بها
- قوة اية ؟! ايوه يعنى بتعمل اية ؟
نظر حولة قبل ان يشير الى بيدية بكفية الاثنين معبرا " انا باقدر اختفى تماما "."يعنى عندى القدرة انى مفيش حد يشوفنى " يعنى باقدر امشى كده ومحدش يشوفنى " يعنى انا ....."
- "مفهوم ..خلاص ..خلاص فهمت!!!! "
وايضا اشرت الية بكلتا كفى كاننى احرص على الا يسمع احد مايقول ورحت اقلب الامر فى ذهنى وارتب السؤال اوقل الاسئلة !! فاذا به يوفر على الجهد ويباردنى بقولة
-"طبعا حتسالنى ..... "
قلت نعم تماما !!!وقد اعجبتنى سرعة بديهتة .
.....
لكن ماادهشنى حقا انه وحين راح يقص على ماحدث له، كان عدد من الاصدقاء قد جلسوا يستمعون . ولم اره الا قد صار يوجه حديثة الينا جميعا وقد علت نبرة صوتة حتى صار كل من فى الغرفة الفسيحة يسمعنا .
لقد اختفى حبن مر بسيارتة بجوار لجنة تفتيش..... حين لم يكن يحمل رخصة قيادة.....لم يوقفوه .. قال هذا بالحرف .. ومر هكذا " كاللهو الخفى"
- - حين التقى مدير العموم فلم يمنعة الفراش على الباب بل لم يره اصلا !!!!!
وقال لى انه تسلل وصفع هذا الرجل المقيت الذى تجرا فخصم من راتبة ٣ايام فى مكتبة وظل الرجل يهزى طوال ايام حتى نقلوه من مكتبة الى مكتب اخر !!!!!
فى الاخيرة تعالت ضحكة هنا اوهناك.!!! وانا لااتذكر هل ضحكت ام تبسمت فقط فانت لايمكنك ن تتخيل هذا الموقف الاخير دون ان تضحك !
فى اليوم التالى رايته ٤ مرات كان فى الاول منكبا على سيارة احد الزملاء وقد اخرج

احشائها وراح ينظف شيئا وقد امتلات يدية شحما وزيتا وفى الثانية كان يضحك بعلو صوتة وهو يناقشة فى شىء ما وهو يستشهد باحد الواقفين –وحيات امك مش انا قولتلو كده ومصدقنيش !قول الحق !! وعاد الى ضحكتة التى تدوى فى ارجاء المكان .
رايتة فى الثالثة عند مكتب رئيس القسم فصافحنى بحرارة واحتضننى – وبابتسامه كشمس الصباح سألنى كاى صديقين قديمين انت فين ياراجل؟ !!!!
حين كنا جميعا نهم بالانصراف من العمل رايتة وقد تعلق بسلم خشبى طويل لااعرف من اين احضرة ! كان يصلح الكهرباء !
صاح فية زميل وهو يغادر
- اوعى الكهرباء ياخليل انت مش ناقص وضحك .
-ارتج السلم الخشبى بخليل وهو يضحك هو الاخر واسرع قبل ان يتوارى صديقة هذا عن الانظار ليقول له

- المرة الجاية حادفعك ! عربية هبلة زى صاحبها ! وراح فى نوبة ضحك !!!!!!!!!!
-

زكريا الشافعى

الاسكندرية فى ١٩-فبراير ٢٠١٧

لم يكن قد قطع نصف المسافة للمسجد فى هذا السكون الجليل فى هدأة الليل قبيل الفجر، حين مر بهما . كانا جالسين على شى ما . القى السلام كعادته كل ليلة وهو ذاهب لصلاة الفجر فى هذا الثوب الابيض الناصع الذى يكاد ينير هذا الطريق الضيق الذى بخلت علية المصابيح . لايدرى هل رد احدهم السلام ام لا .... .حارة ضيقة تكاد نوافذ البيوت وشرفاتها المتقابلة تتصافح . كان "سعيد المن " وهذا هو لقبة احد الاثنين الجالسين . شاب فى مقتبل العمر لكنه يبدو اكبر من سنة لاتعرف له مهنة ولاعملا . يحيا على مناكفة خلق الله او السمسرة او اى عمل سريع يدر مالا سهلا. كنا نعرف ان اى عراك فى الحى يكون هو طرف فية . كان جهير الصوت جرىء فى الشر.
تبع احدهم خطوات الشيخ .....

بعد لحظات وجدوا الشيخ مغشيا علية ممددا على الطربق على بعد خطوات من المسجد .وحين رآه احد الذاهبين للصلاة اسرع الية .
لاحول ولاقوة الا بالله ..مين اللى عمل فيك كده ياشيخ سيد !!!؟.
.....
افاق الرجل وهو بين اليقظة والاغماء تحسست يده جيب الثوب فادرك ان الورقة المئة جنية ومعها بضع جنيهات اخرى قد اختفت حملوه الى المسجد توضأ من جديد طقطق الميكرفون مبددا هذا الصمت كان الاذان بنبرة حزينة باكية ...
حين اشرق الصبح لم يكن احد قد علم بعد بماحدث للشيخ سيد والشيخ سيد نفسة رفض ان يتهم احدا ... قال بعضهم انهم يشكون فى سعيد المن هذا او على الاقل هو يعرف من فعلها ...رفض الشيخ سيد ان يقول شيئا لم يره بام عينة .. يخشى ان يتهم احد زورا ..!
فى هدأة صبيحة اليوم التالى تسلل الى الشارع الضيق اربعة انسلوا داخل بيت عتيق ... وكان المن وحيدا نائما فى غرفتة الضيقة تحت السلم اخرجوه من جحرة الذى ينام فية سحلوة فى الشارع واشبعوه ضربا ..... صرخت امراة فاجتمع الناس ونظر اخرون من النوافذ الضيقة التى تطل على الشارع لم يستطع احد ان يتدخل اوربما لم يرد احد ذلك ....
صاح احد الاربعة بصوت اجش كفيحح الافعى "علية خمسمائة جنية "
سمع الناس صون المن هو بين النوم وقطعة الانفاس من الضرب "
- معاييش فلوس ياجدعان – سقطت ورقة بمئة جنية من جيبة التقطها احدهم ودسها فى جيبة – اومال دى اية ؟

-بدا علية الذهول تسلل احدهم سريعا الى حجرتة تحت السلام وخرج بشىء يظن انه ذو قيمة

صاح موجها كلامة لسعيد المن الذى كان ممددا على الارض – " تجيب الربعميت جنى تاخ ده "
حين زاد عدد الناس بدا القلق على الاربعة الشاهرين اسلحتهم البيضاء فبادروا بالفرار .... كان صندوقا خشبيا صغير يبدوا للناظر الية لاول وهلة ان يحوى شيئا ذا قيمة كما انه كان مقفلا بقفل مما يؤكد الظن .... طار الاربعة فى الشوارع اقترب بعض الناس من سعيد المن الذى بدات الدماء تعطى انحاء متفرقة من ملابسة
خرجت امراة من دور ارضى ومدت يدها بزجاجة مياة وتطوعت اخرى مع رجل طاعن فى السن فمسحوا الدماء عن وجههة وراسة

القت الية امراة خرقة بالية ليسد بها الجرح النازف .
افاق واعتدل فى جلستة . اجلسوة على الرصيف لم ينبت ببنت شفة لكنه ظل ذاهلا صامتا..

كلمه الرجل – يابنى فوق ... قولى اسمك اية ؟
" اسمة المن " قالها احد الواقفين للرجل بنبرة تعجب .

– بدا الاستنكار على وجه الرجل العجوز من الاسم
– " اسمة سعيد " صوت اخر قالها .

اشار المن بحركة اصابعة يطلب سيجارة من اى احد من الواقفين بعيدا عنه بيده ...ناولة احدهم سيجارة مشتعلة وتركوه جميعا يدخن فى صمت وانصرفوا

انفض الناس من حولة سريعا حتى الرجل الرجل تركه وهو يدعوا لة بالهداية
– وضع يدية الاثنين على راسة وانكفء على نفسة

مرض سعيد ثلاثة ايام لم يعد احد يراة . . رأوة مرة يتهادى بين اتنين فى طريقة الى الصيدلية على الشارع الرئيسى

فى طريقة لصلاة الفجر سمع الشيخ سيد أنات ألم فى هذا الهدوء الجليل توقف قليلا ، كان صوت سعيد المن ، ثم اكمل طريقة للمسجد بخطوات ثقيلة كان الاذان بنبرة حزينة باكية

جلس الشيخ سيد فى مصلاة يسبح وهو يتوقف بين الفينة والفينة يسرح قليلا ثم يعود مستغفرا " استغفر الله العظيم لاحول ولاقوة الاباالله " حتى اشرقت الشمس، وبدأت ضوضاء النهار المعتادة تدب فى الطرقات وتتحرك فى المنازل .
قام الشيخ من مجلسة وهم ينتوى شيئا

حين توقفت خطواتة امام الشىء الذى يسكن فية سعيد المن تلفت بخفة حولة لم يكن يريد ان يراة احد وهو يحمل فى يده هذا الكيس الكبير

حين دق الباب كان المن يقف مترنحا مجهدا ليفتحة كانما كان ينتظر احد ما

سلام عليكم ازيك ياسعيد
-الله يسلمك ياشيخ سيد – ثم اراد ان يقول شيئا لكن الكلمات انحشرت فى زوره وضع عينية فى الارض ولم يقل شيئا ... كان الصمت بليغا !!

وكان الدنيا كلها بنقائها وصفائها ورحمتها وانسانيتها هى الشيخ سيد وايضا بجرمها وشقائها وحقارتها هى سعيد المن . لم يكن لنور الصبح مكان فى هذه الغرفة . لاشباك ولاطاقة نور . حجرة مظلمة كظلمة حياته التى لامعنى لها !! . معيشة وحياة لاتستحق عناء مكابدتها والسعى فيها . كان الشيخ سيد يجلس فى ثوبة الابيض الناصع البياض ولحيتة البيضاء الخفيفة يضفى نقاء على المكان .

بهذه الابتسامة الوادعة والعينين الآمنتين قام الشيخ سيد حين هم لينصرف وهو يضع شيئا فى جيب سعيد المن

- ياسعيد انت محتاج مصاريف خلى دول معاك .
- الميت جنية ياشيخ محمد اللى ....قالها سعيد وهو لايكاد يرفع عينة فى وجه الرجل اشار الية الشيخ بيده لم يدعة يكمل !
مرت ايام قليلة لم يكد يخرج المن ليعمل حتى اجتاح الحارة هؤلاء الاربعة مرة اخرى طالبين مالديهم عند سعيد " اربعمائة جنية"
كان احدهم يحمل سلاحا ناريا ارادوا المن وقف الشيخ سيد بينهم.... حال بينهم وبين سعيد ..... وقف الناس يشاهدون .

خرجت رصاصة استقرت فى صدر الشيخ !!!
تضرج الثوب الابيض بالدماء . اختلط برائحة المسك . صرخ سعيد.... انكفأ على الشيخ .بكى بكاءا مرا

كان على وجه الشيخ سيد هذه البسمة التى راها اول مرة حين زارة فى هذه الغرفة التى تبعد بضع خطوات
.....
مسحت الشرطة المكان .... وقبضت على الكثيرين لكن .. لم يكن سعيد المن واحد منهم .

اذن المؤذن ..

مرت خمس وعشرون سنة تحول هذا المسجد الصغير الى جامع كبير... ملحق به مستوصف وجمعية اهلية .
وقف الحاج ابوالسعادات فاستطالت الاعناق لتملا النظر من رجل البر والاحسان ، وقف صاحب الايادى البيضاء يوزع شهادات التقدير .. والاعانات المالية ... ورحلات العمرة فى جمعيتة الاهلية الملحقة بالمستوصف الطبى الذى بناه منذ عدة سنوات .
وحين نودى على اسم الفائز بمسابقة حفظ القران الكريم " محمد عبد الفتاح سيد هداية " .... لم يملك الحاج ابو السعادات دموعة الغزيرة التى راحت تتساقط على لحيتة وهو يقبل راس الفتى ويسلمة الجائزة وهو يردد فى صوت اقرب الى البكاء ...

- الله يرحمك ياشيخ " سيد هداية "!!!!!

زكـــــريا الشافعى

الاســـــكندرية فى ابريل ٢٠١٨

الذاكرة ممتلئة

الرسالة تقول ان الذاكرة ممتلئة -
تجمدت الشاشة فجاة ... اصابها الشلل ...لم يعد ممكنا ان يستوعب هذا الشىء الصغير المحشور فى احدى فتحات اللاب توب اى شىء اخر
- نعم الذاكرة ممتلئة ..توقف المخ الالكترونى العملاق.. يجب التخلص من بعض الملفات... يجب محوها ...يجب تحرير الذاكرة... هكذا قالت الرسالة .

قمت الى الحمام لم اشعر الا الحين اننى مثقل بهموم لاتستوعبها ذاكرتى...
ست ساعات من العمل المتواصل ... كلمات..، ترجمات..، ملفات..، اعداد محاضرات ... رسائل.. ،شير..، تعليق.. ،شجب.. ،شكر -
سأشرب الشاى الذى أعددته منذ ساعة. نعم نسيت أنى أعددته أصلا .

رن الهاتف... تبينت صوتة من بين عدة اصوات فى سيمفونية مجنونة من الضجيج . يصر بائع الغاز وهو يدق على حديد احدى الاسطوانات الفارغة ان يبيع مابقى معة!!! - الغاز الطبيعى دخل البيوت !!!

- ! لمن هذا الرقم .....غريبة !! .. لنفس الرقم اتصال منذ ساعة . كيف لم اسمعة؟! من هو؟! - من يكون...؟! .
- الو ... من .... لا.. لاتقل هذا... هه... والله ؟! جد !!

..... كان اخى!! هذا رقم اخر له.. لم اسجلة عندى - كنا ذاهبون لزيارة ..... الرجل مريض ..
سالته متعجبا " هل اتفقنا على ذلك!!
-اى نعم!! "بالامس التقيتك على باب البيت كنت ذاهب و انا راجع الا تذكر ؟!

" قالت زوجتى ان معلمة البنت تشتكى منها لقد نسيت جدول الضرب" .و " الولد تشاجر فى المدرسة "
سالتها - هل اعددت لنا شيئا نأكلة عندى عمل بعد ساعه "....
ردت -" اتصل بامى فقد كانت عند الطبيب اليوم " هه لاتنسى !

- " سلامتها نعم سافعل " " تؤلمنى قدمى ...اعرف انها الاملاح" ...نعم.. نعم.. انا ايضا وقفت ساعات صعدت ونزلت عدة مرات ....
هل يمكن ان احظى بقيلولة... صاح الاولاد.... تشاجروا .. صرخت فيهم الام ابوكم نااااايم... جرت بالعصا خلف من بدا الشجار. اسرعت الصغيرة الشقية لتختبىء خلفى... ارتج السرير ....فزع النوم ....لم يجد له مكان . جاءوا جميعهم يشتكون الى.

حان ميعاد العمل . ارتديت اول قميص قابلنى وضعت قدمى فى الحذاء المنتظر على باب الشقة. غصت فى الزحام الشديد...وجوه كثيرة ... سيقان تتحرك فى كل مكان فى كل اتجاه .هل غادر الجميع بيوتهم ... مرت خمس دقائق ...عشرة... عشرون ....وجدت مكانا....

راح السائق يشق طريقة فى بحر متلاطم الامواج...سيل متدفق من مركبات زاحفة تزوم فى ملل .. تكاد تلامس بعضها البعض ... تكاد اجفان السائق المجهد تسقط على عينية ... تقود يدية السيارة كانها قطعة من ذلك المجرك العتيق الى تعلو اناته عند كل حركة ... ، غير المسار .. سار فى ازقة، اجتاز حشود من زحام مظاهرة، وارتج عند كل مطب، واندك عند كل حفرة، صعد على ماتبقى من رصيف .وخاض فى مياة ،....وزعق بالنفير فى كل كبير وصغير ، هذا هو الشارع والمكان ... هو هذا ....

- على جنب يااسطى ... لكنى لم انطقها !

لم اغادر... ظللت فى مكانى.. شىء ما قيدنى ،مر مكان نزولى وانا ارمقة بلا مبالاة ، حين وصل الى طريق البحر هناك فى هذا المكان حيث من المعتاد ان يسرع الجميع . عند هذه البقعة الخجولة الهاربة من سطوة الزحام هناك حيث انسحبت البيوت ، هنا فقط حيث اعلن الفراغ النادروالسكون الحصرى عن نفسه .هذه المساحة الغير مأهولة . المستثناة من ذاكرة الاماكن. -

- "سانزل هنا لوسمحت ..."

نظر الجميع الى بدهشة ... شى مافى داخلى تكلم .الذاكرة ممتلئة، يجب محو بعض الملفات، الجالس بجوارى ازال سماعات الاذن وهو ينظر الى بدهشة" نازل يااستاذ ؟!

"- جيجا بايت " اقصد "ايوة نعم. "

زكريا الشافعى

الاسكندرية اكتوبر ٢٠١٤

تمت